الأمور الغير المشوبة بالأغراض النفسانية، بل قصد بها وجه الله تعالى.

«لا يبدأ فيه بسم الله الرحمنِ الرحيم أقطع»[1]: أي لا يشرع فيه بالله، إذ الاسم عين المسمَّى عند السادة الصوفية بلا خلاف عنهم، بل بالنفس لا بركة فيه، ولا خير؛ لأنه صدر عن غافل، وطعام الغافل غير مأكول عند أهل الله تعالى.

[شرح الصلاة الأكبرية]

قال الشيخ المصنف رضي الله عنه:

[بسم الله الرحمن الرحيم اللَّهُمَّ أفضْ صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعيينات المفاضة من العماء الربَّاني، وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني].

قال الشيخ الشارح رضي الله عنه:

صدَّر الشيخ المحقق قُدِّس سرُّه بالبسملة. قال: **(بسم الله الرحمن الرحيم)**:

أي بالله أصلي، أو أؤلف لا بنفسي، وهذا من باب قرب النوافل، والمعنى أن الله تعالى يُصلِّي بي.

كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] بأن يقدر المتعلق وقع التأليف أو ظهره، ويجعل الاسم عبارة عن الشيخ قدِّس سرُّه؛ لأن الاسم ما دلَّ على الذات والصفة، والشيخ الأكبر دال عليهما، بل كل ذرة من ذرات الكون دالة عليهما، فالممكن بجسمه، ونفسه، وروحه كاللفظ، والحق تعالى المعنى الكل إشارةً وأنت المغني، ولا حلول، ولا اتحاد كما لا يحل المعنى في اللفظ، وعلى هذا يكون من باب قُرب

---

(1) رواه بلفظه عبد الكريم السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء فصل في أدب المملي ينبغي..، [1/ 51].

الفرائض. وهذا هو مقام المؤلف قُدِّس سرُّه هو الوارث الأفضل، والخاتم للولاية المحمَّدية الأكمل.

والله علم لذات الحق باعتبار مرتبة الألوهية المفسِّرة بالاستغناء عن جميع الأغيار، واستناد الكل إليه بالافتقار.

والرحمن: مختص بالله لا يستعمل في غيره بحسب الوضع، إما لأنه علم أيضاً، أو لأنه كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره؛ لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، وذلك لا يصدق على غيره تعالى، لا لأنه من الصفات الغالبة؛ لأن هذا يقتضي جواز استعماله في غيره تعالى بحسب الوضع، وليس كذلك.

والمشهور أن وصف الله تعالى بالرحمة مجاز؛ لأنها من الأعراض النفسانية التي تستحيل على الله تعالى، فإذا وُصف بشيء منها وجب أن يصرف الكلام عن ظاهره، وذلك فيما نحن فيه، إما أن تجعل الرحمة مجازاً تبعيًا عن إرادة الإِنعام، فتكون الرحمة من الصفات الذاتية، أو عن الإِنعام، فتكون من الصفات الفعلية، أو لعلاقة السببية والمسببية القريبة في الأول، والبعيدة في الثاني، ولا يخفى أن الرحمة مِن الأعراض النفسانية هي الرحمة القائمة بنا، ولا يلزم من ذلك أن يكون مطلق الرحمة كذلك حتى يلزم منه كون الرحمة التي وَصفَ الحق بها نفسه مجازاً.

ألا ترى أن العلم القائم بنا من الأعراض النفسانية، وقد وُصف الحق تعالى بالعلم مع أن علم الحق ذاتي، أزلي، حضوري محيط بجميع المعلومات.

وعلمنا مجعول حادث حصولي غير محيط، وعلى هذا سائر الصفات عبارة عن حضور الأشياء عند العالم، والحصولي عبارة عن حصول صورها، وكون علمه تعالى حضوريًا مبني على مذهب أهل الكشف القائلين بوحدة الوجود فافهم.

ولما كان نبيُّنا ﷺ مخلوقاً خاصاً ليس كخلق غيره من المخلوقات،

فإن جميع مخلوقاته تعالى خلقهم بتجلي اسمه الرحمن المستوي على العرش، وهو ﷺ مخلوقٌ له تعالى بتجلِّي اسمه لله الجامع لجميع الأسماء، وكل اسم من أسمائه تعالى جامع للكل أيضاً لكن باعتبار اشتماله على الذات، فلم تعتبر فيه الأسماء كما هي معتبرة في اسم الله.

وأما قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: 3].

فهو باعتبار التجلي الرحماني، وقد صلَّى الله تعالى عليه في القرآن العظيم بالاسم الجامع حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56].

وقد أضمر الله تعالى الفعل لعدم معرفة أحد بذلك المعنى الذي له نظير قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]. صدر الشيخ قُدِّس سرُّه بقوله:

(اللَّهُمَّ) طالباً أن يُفاض عليه ذلك الذي أضمره عنَّا فقال: **(أفض)**: أي أسِل، أو أكثر، إذ الفيض سيلان الماء، أو كثرته حتى يسيل.

وفي **الاصطلاح** يقال: لفعل يفعل دائماً لا لعوضٍ، ولا لغرضٍ فعليه لا مجاز، وعلى الأول بشقيه مجاز، تبعي، أو استعارة تبعيَّة، ولك على الثاني مِنْ الأول أن تجرِّد بعض المعنى، فيكون حقيقة قاصرة كما اصطلح عليه البعض، والدعاء دوامي.

كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: 136].

(صلة صلواتك) إحساناتك التَّامات، وسلامة صِحّة تسليماتك تخليصاتك، والإضافة في كليهما لاميَّة، والمعنى: أدمْ كثرة العطايا المترتبة على إحساناتك، والصحة والثبات، والقوة المترتبة على تخليصاتك له مِنْ الأغيار، وعيون الأنوار، والسر في إفراد العطيَّة.

وإن كان المغني على التعدد كما أشرنا إليه أن المقصود بها أولاً، وبالذات شهوده تعالى وهو واحدٌ، ولما كان في الشهودِ يفنى العبد، فيبقى

إذ ذاك الرب تعالى فقط طلب السلامة له الناشئة من التسليمات، فيسلم ﷺ عند حصول هذه السلامة من مثل هذا الفناء والاضمحلال، فيبقى ﷺ به تعالى، ويشهده به بل الحق تعالى يشهد نفسه به ﷺ، ويعطي المراتب الحقيَّة والخلقية حقَّها به، وهذا مقام أو أدنى وهو من خواصه ﷺ، وقضية أن الحادث إذا قرن بالقديم فني الحادث لا تخالف ما قررناه.

(على أول التعينات) جمع تعين، وهو الصورة المفروضة المخلوقة، وأنه ﷺ أول الأعيان الثابتة المفاضة بالفيض الأقدس في الحضرة العلمية، وأول الأعيان الخارجية في النشأة الروحية المفاضة بالفيض الأقدس، والبقية فروع، بل هو حضرة علم الحقِّ بنفسه؛ إذ هو أول تعين الحق تعالى المترتب ترتباً ذاتياً على الحضرة الأحدية التي هي العماء، وإليه ملمح الشيخ قُدِّس سرُّه، فإن قيل حضرة علمه تعالى قديمة أزلية والحضرة المحمديَّة النوريَّة حادثة، فكيف تكون هي هي.

يقال: إذا فني النور في النور تم الظهور، وارتفعت الحجب والستور، ولا يبقى بعد ذهاب الأمر الموهوم إلا الحي القيّوم بالحي القيّوم المفاضة صفة التعينات بالفيض الأقدس إن كان المراد بالتعينات: الأعيان الثابتة، أو المقدس.

إن كان المراد الأعيان الخارجية، والتعميم أكمل، والعماء من قوله قُدِّس سرُّه من العماء، وهو في اللغة بمعنى: السحاب الرقيق، على الأول بمعنى: الحضرة الأحدية، وعلى الثاني: بمعنى الحضرة العلمية، فالمشترك مستعمل في كلا معنييه على تقدير التعميم، أو يجعل من باب عموم المجاز.

ووجه المناسبة بين المنقول منه، والمنقول إليه: أن السحاب بين السماء والأرض، والأحدية بين الغيب المطلق والواحدية، والعلم بين العالم والمعلوم، وفي كلامه قُدِّس سرُّه إشارةٌ إلى أن الإفاضة على طبق العلم، والعلم تابعٌ للمعلوم فكل ما في الخارج محذي على طبق عينه ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: 3].

وكون العلم تابعاً للمعلوم بالنظر إلى حضرة الأعيان القديمة التي أعطت الحق العلم التفصيلي بها، وأما بالنظر إلى رتبة العلم الإجمالي الكلي، فالمعلوم تابع للعلم؛ لأن الحق لما تجلَّى من ذاته لذاته بالفيض الأقدس حصلت الأعيان واستعدادتها، فلم تحصل عن جهل تعالى الله عن ذلك.

فلا مخالفة بين المؤلف قُدِّس سرُّه، والشيخ الجيلي قُدِّس سرُّه، وإنما وصف العماء بقوله: **(الرباني)** نظراً للفيض المقدَّس في صورة التعميم، أو لأن صفة التربية كانت كامنة في الحضرة الأحدية، وآخر عطف على أول التنزلات الظهورات الأكملية؛ إذ هو ﷺ غاية الغايات، وأكمل كمال النهايات التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كيف وهو الظهور التام، والمظهر العام، وليس في الإمكان أبدع مما كان، ولو كان لكان، فإنه لأشرف من الوجود، وقد تجلَّى به كمال التجلي في الحقيقة والشهود.

(المضافة) صفة التنزلات: أي المنسوبة **(إلى النوع الإنساني)** المنسوب إلى الإنسان نسبة الكلي إلى جزئيه، وإنما خصَّ النوع الإنساني؛ لأنه الأكمل المخلوق على الصورة الإلهية أن الله خلق آدم على صورته.

وثبت في بعض الروايات الصحيحة كشفاً: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**[1].

فهو ﷺ الكامل الأكمل من حيث الظهور، والبطون، والأولية، والآخرية.

قال المصنف:

[المهاجر من مكة ـ كان الله ولم يكن معه شيءٌ ثانٍ ـ إلى المدينة، وهو الآن على ما عليه كان، محصي عوالم الحضرات الإلهية الخمس في وجوده: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]، وراحم سائلي استعداداتها بنداء

(1) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر برقم (13580) [12/ 430] ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (517) [1/ 229] ورواه غيرهما.

جوده: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

(المهاجر) بالأوجه الثلاثة، والقطع أكمل من حضرة الأحدية؛ لأنه التعين الأول على ما مرَّ أو من وطنه الأصلي الذي هو الحضرة العلمية؛ إذ هي الوطن الأصلي، وحب الوطن من الإيمان، أما الرجوع إلى العين الثابتة بالفناء عما سوى الله، والبقاء به فيكون الحق إذ ذاك مرآة لنفسك فتراها فيه.

وكل من الحضرتين أطلق عليه قُدِّس سرُّه **(مكة)** لاختصاصها بالله تعالى، ولذا أضافها إلى **(كان الله ولم يكن معه شيء ثانٍ)**[1].

فإن قلت: إذا كان المراد الحضرة العلمية لا تصح الإضافة لاعتبار كثرة الأشياء، **قلت**: هي ثابتة موجودة، بل هي تقديرات ليست معه، والحق مع الأشياء بالشيئيَّة الثبوتية، أو الخارجية، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: 4] وليس مع شيء، وإلا لساوقه إلى مدينة: أي المسافر من الحق إلى الخلق؛ لأن التمدن يعطي الكثرة، ولما كان هذا يشعر برؤية الأغيار زاله، بالإضافة إلى قوله: **(وهو)**: أي اللَّه تعالى.

(الآن) في كل وقت **(على ما عليه كان)** فهو ﷺ يُشهد الحق في الخلق، بل قبل الخلق فسفره، ومهاجرته ﷺ من الله إلى الله، وهو مقام جمع الجمع، والفرق الثاني.

واعلم أن الأعيان الثابتة ما شمَّت رائحة الوجود، ولا تزال لا تشم رائحته، والوجود الذي ظهرت به هذه الأشياء وجود الحق، ولا يحتاج في ظهورها إلى خلق وجودٍ حادثٍ لها؛ إذ وجود الحق تعالى كافٍ لإظهارها، فالأشياء في حدِّ ذاتها هالكة إلا وجه الحق الذي أظهرها، فإنه باقٍ.

وأهل الرسم سموا ظهور الأشياء الحاصل بوجود الله تعالى الوجود

---

(1) لم أجده بلفظه والذي ورد قوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء» الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3018) [3/ 1165] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السيرة حديث رقم (17480) [9/ 2] ورواه غيرهما.

الحادث، وأهل الكشف لا يسمونه الوجود، فالخلاف لفظي، والكلام في الوجود بمعنى مبدأ الأثر، إذا عرف هذا، فالحق تعالى الآن، وبعد الخلق على ما عليه كان قبل أن يخلق الخلق؛ إذ لم يوجد موجودٌ ثانٍ أصلاً، وإنما حصل له الظهور لا الوجود، وذلك الظهور بالله تعالى.

تنبيه:

قال شيخنا الشيخ الأكبر [محيي الدين محمد بن عربي الحاتمي] مصنِّف هذه الصلوات في الفتوحات [المكية]:

كان الله ولا شيء معه، ثم أدرج فيه، وهو الآن على ما عليه كان لم يرجع إليه من إيجاده العالم صفة لم يكن عليها، بل كان موصوفاً لنفسه، ومسمًّى قبل خلقه بالأسماء التي يدعوه بها خلقه انتهى.

لائحة في تفسير ما مرَّ على غير الوجه المار:

اعلم أن أوَّل ما تجلَّى الحق سبحانه وأظهر في النفس الرحماني الذي هو الهيُولي الكلية النور المحمَّدي، وهو العقل الأول، والقلم الأعلى، والروح الأعظم، ثم تشعَّب من العقل الأول النفس الكلية، ثم تشعب منهما العقول والنفوس المجرَّدة، ثم النفوس المنطبعة، والهيُولي الكلية التي للأجسام، ثم العرش، والكرسي، ثم الأجسام العنصرية، والسماوية وغيرها، ثم المركبات من المعادن والنبات، والحيوانات إلى أن انتهت الحركة الوجودية إلى الإنسان، فهو آخر التنزلات، ثم السعيد من يهاجر من هذه الحضرات، وكل منها حضرة الحق التقييديَّة.

فهي مكة بيت الله أو بلده، ولا شيء معه: أي لا وجود لشيء سواه، وكل شيء هالك إلا وجهه، فالكثرة صورية عدمية إلى ما صدر منه، فكان في مقام الجمع، بل جمع الجمع وهو مدينة، وهو الآن إلى حين الرجوع على ما عليه كان حين الصدور منه، واختار للمناسبة، والإشعار بالجمع. (**محصي**) من الإحصاء الجمع، والمعنى جامع علماً وشهوداً، وحقيقةً.

(عوالم) مضاف إليه لمحصي.

(الحضرات الإلهية) جمع حضرة، وهي ما يظهر الحق تعالى به من عوالم الإمكان على حسبها لا على حسبه إلا في الكامل، فإن الظهور بحسب الحق إذ ذاك كما نبَّه عليه المؤلف الأستاذ قُدِّس سرُّه في «الفصوص»، حيث قال قُدِّس سرُّه:

وهذا عكس ما تشير إليه الطائفة مِنْ أن الحق تعالى يتجلَّى على قدر استعداد العبد، وهذا ليس كذلك فإن قلب العبد: أي الكامل يظهر الحق على قدر الصورة التي يتجلَّى له فيها الحق انتهى.

أي: لأنه ليست لقلب العارف الكامل حيثيَّة معينة، وصفة مخصوصة مقيَّدة حتى يتجلَّى له الحق بحسبه؛ لأنه مطلق غير مقيد بهيئة مخصوصة، فهو بحسب الحق.

ولله در القائل:

يقولون الماء لون إنائه ... أنا الآن من ماء إناء بلا لون

(الخمس) صفة الحضرات، اعلم أن أول العوالم في الوجود الخارجي هو عالم العقول والنفوس المجرَّدة المسمَّى بعالم الجبروت، ثم عالم المثال المطلق الذي كان من الموجودات المجرَّدة، وغير المجرَّدة فيه صور مثالية مدركة بالحواس الباطنة، ويسمَّى بعالم الملكوت، ثم عالم الملك الذي هو العرش، والكرسي، والسماوات، والعناصر وما تركَّب منها.

وهذه العوالم الثلاثة صور ما في العلم الإلهي من الأعيان الثابت المسمَّاة بالماهيات الممكنة والحقائق، وهو عالم الغيب المطلق لاشتماله على غيوب كل ما في العالم.

والإنسان وإن كان من حيث صورته الظاهرة من عالم الملك، وصورته الباطنة من عالم الملكوت لكن لجامعيته، وكونه مشتملاً على كل ما في العالم الخارجي هو عالم آخر يرأسه، فصارت العوالم الكليَّة،

أو غير مجعولة؛ لأن الاستعداد الحاصل بالفيض الأقدس غير مجعول كالأعيان، والحاصل بالفيض المقدَّس من التخلُّق بالأخلاق العليَّة، والأوصاف المرضية مجعول، وسواء كان هذا السؤال بالقال، أو بالحال، فهو ﷺ يعطي، ويفيض على كل سائل مطلقاً.

(بنداء جوده): وكرمه الذي هو عين جود الحق وكرمه ما استعد له؛ لأنه أصل الكل، ونبي الكل ورسوله، ويجوز إرجاع ضميري وجوده إلى الله تعالى، والإحصاء لعلم على ما في الإصباح.

والمعنى: أنه ﷺ عالم علماً ذوقيًا، شُهوديًا أن العوالم الخمس كليها وجزئيها في وجوده تعالى ظاهرة من غير حلولٍ ولا اتحاد كظهور الأشياء في المرآة.

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: **«المؤمن مرآة المؤمن»**[1].

والتقييد تشريفي لكمال الظهور، ولو كان الكمال إضافياً.

وهو ﷺ مجيب لاستعداداتها السائلة عند ندائها؛ لجود الحق تعالى، ونسبة النداء للجود مجاز؛ لأنه العلة الغائية ومفيض عليها؛ لأنه الواسطة الأصلية، والخليفة الأعظم ﷺ، والرسول الأكرم.

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] يا محمد بالرسالة الأصلية إلا رحمة للعالمين، وهو عوالم الحضرات، والكل حيٌّ ناطقٌ عالمٌ.

فلذا جمع بالياء والنون، فليس باسم جمع أو فيه تغليب، فنبيُّنا ﷺ رسول الكل حتى الجماد؛ لأنه حيٌّ، ناطقٌ، عالمٌ.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44].

---

(1) رواه أبو داود في السنن، باب في النصيحة..، حديث رقم (4918) [4/ 280] والبيهقي في السنن الكبرى، باب في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر، حديث رقم (16458) [8/ 167]) ورواه غيرهما.

قال الأستاذ قُدِّس سرُّه في «الفتوحات»: أصحاب الأفكار من أهل النظر، والأدلة المقصورة على الحواس، والبديهيات يقولون: لا بد أن يكون المكلَّف عاقلاً بحيث يفهم ما يخاطب به، وصدقوا.

وكذلك هو الأمر عندنا العالم كله حيٌّ، عاقلٌ، ناطقٌ من جهة الكشف بخرق العادة التي الناس عليها، أعني: حصول العلم عندنا بهذا، غير أنهم قالوا: هذا جمادٌ لا يعقل ووقفوا عندما أعطاهم بصرهم، والأمر عندنا بخلاف ذلك.

فإذا جاء عن نبي أن حجراً كلَّمهُ، وكتف شاة، وجذع نخلة، وبهيمة، يقولون: خلق الله تعالى فيه الحياة، والعلم في ذلك الوقت، والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة في جميع العالم، وأن كل مَنْ يسمع المؤذن من رطبٍ، ويابسٍ يَشهدُ له، ولا يشهد إلا مَنْ عَلِمَ هذا عن كشفٍ عندنا، لا عن استنباط من نظر لما يقتضيه ظاهر خبر ولا غير ذلك.

ومن أراد أن يقف عليهن فليسلك طريق الرجال، وليلزم الخلوة والذكر، فإن الله تعالى سيطلعه على هذا كله عيناً، فيعلم أن الناس في عماية عن إدراك هذه الحقائق انتهى.

قال المصنف:

[نقطة البسملة الجامعة لما يكون ولما كان، ونقطة الأمر الجوالة بدوائر الأكوان، سر الهوية التي في كلِّ شيءٍ ساريةٌ، وعن كل شيءٍ مجردةٌ وعاريةٌ].

قال الشارح:

(نقطة) بالرفع على الأنسب خبر مبتدأ محذوف في «المصباح» نقطة الكتاب نقطاً من باب قتل، والنُقطة بالضم، والجمع: نقط مثل غرف، والنَقطة بالفتح: المرة، هذا والنقطة بلسان السادة قُدِّس سرُّهم: إشارة إلى العبد؛ لأنه به وقع التمييز.

قال شيخنا المؤلف في «الفتوحات»: بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميَّز العابد عن المعبود.

قيل للشبلي رضي الله عنه: أنت الشبلي؟ فقال: أنا النقطة التي تحت الباء.

وهو قولنا: النقطة للتمييز، وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبوديَّة.

وكان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يقول: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الباء عليه مكتوبة، فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق في مقام الجمع والوجود: أي بي قام كل شيء وظهر انتهى.

فبه ﷺ تميَّز العابد عن المعبود، وظهرت الإثنينية الاعتبارية، ولذا كان خَلقه ﷺ يوم الإثنين.

(البسملة): أي بسم الله الرحمن الرحيم التي بها ظهر العالم.

قال شيخنا قُدِّس سرُّه في «الفتوحات»: لما قدَّمنا أن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم، وأنها المسلط عليه، والمؤثرة لذلك كان بسم الله الرحمن الرحيم عندنا خبر مبتدأ مضمر، وهو ابتداء العالم وظهوره، كأنه يقول ظهور العالم بسم الله الرحمن الرحيم، واختصَّ الثلاثة الأسماء؛ لأن الحقائق تعطي ذلك.

فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلها.

والرحمن صفة عامة فهو رحمن الدنيا والآخرة رحم بها كل شيء من العالم في الدنيا ولما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلا بقبضة السعادة فإنها تنفرد عن أختها، وكانت في الدنيا ممتزجة يولد كافراً، ويموت مؤمناً وبالعكس، وبعض العالم تميَّز بإحدى القبضتين بإخبارٍ صادقٍ، فجاء الاسم الرحيم مختصاً بالدار الآخرة لكل من آمن، وتمَّ العالم بهذه الأسماء الثلاثة جملةً في الاسم الله، وتفصيلاً في الاسمين الرحمن، الرحيم.

(الجامعة) صفة للنقطة؛ لأنه ﷺ له الجمعية الكبرى كما أمر وللبسملة؛ لأنها المؤثرة في الكل على ما مرَّ آنفاً.

(لما يكون) يظهر بوجود الحق من كل شيء.

و**(لما كان)** ظهر بالوجود، وبطن به لائحة تتضمن معنى آخر، اعلم أن جميع المنزل من عند الله تعالى مائة صحيفة وأربعة كتب، أُنزلت عشر صحف على آدم، وخمسون على ولده شيث، وثلاثون على إدريس، وعشر على إبراهيم عليهم السلام.

ويقال في جميعها: صحف، وأُنزلت التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على سيدنا ونبيِّنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين.

ويقال فيها كتب، وجميع ما في هذه الصحف موجود في الكتب الأربعة، وجميع ما في الكتب الثلاثة مجموعة في القرآن مع ما فيه من الزيادة، وجميع ما في القرآن قد احتوت عليه سورة البقرة، وجميع ما فيها مجموع في الفاتحة، وجميع ما فيها موجود في البسملة، وجميع ما فيها موجود في بائها، وجميع ما في الباء موجود في نقطتها، فهو ﷺ الجامع الأكبر، والاسم الأعظم الأفخر كالنقطة، فالتشبيه بليغ، ولفظة الأمر الواحد الإلهي الذي قامت به الأشياء، فالأمر هو القيوميَّة؛ لأنه ﷺ نقطة القيومية؛ لأنه ﷺ مرآة لذاته تعالى، ولا يظهر بذاته أصالة إلا فيه، وظهره في جميع المخلوقات إنما هو بصفاته، فهو قطب العالم الدنياوي، والأخراوي، وقطب أهل الجنة، وأهل النار، وأهل الكثيب، وأهل الأعراف، واقتضت الحقيقة الإلهية في علمه أنه تعالى لا يخلق شيئاً إلا وله ﷺ فيه وجهٌ يدور ذلك على وجهه فهو قطبه.

كما قال الجيلي قُدِّس سرُّه في «الإنسان الكامل»: ويجوز أن يُراد بالأمر: الأسماء والصفات، وبالنقطة: قلبه ﷺ.

وقال أيضاً الشيخ عبد الكريم الجيلي قُدِّس سرُّه في [كتاب] «الإنسان الكامل [في معرفة الأواخر والأوائل]»: بَعْدَ أن بين أن القلب هو النور الذي قدَّمه، ويسمَّى هذا النور بالقلب لمعانٍ.

منها: أنه لُبابةُ المخلوقات، وزبدة الموجودات جميعها أعاليها وأدانيها، فيسمَّى بهذا الاسم؛ لأن قلب الشيء خلاصته، وزبدته.

ومنها: أنه سريع التقلُّب، وذلك لأن نقطته يدور عليها محيط الأسماء والصفات، فإذا قابلت اسماً، أو صفةً بشرط المواجهة انطبعت بحكم ذلك الاسم والصفة انتهى.

والمواجهة الكليَّة في نبيِّنا ﷺ متحققة، فالانطباع الكلي متحقق، ويجوز أن يراد بالأمر التجلِّي وهو واحدٌ لا مستمر.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: 50]، فإن التجلِّي لا يتكرر، والمتجلِّي فيه أيضاً لا يبقى زمانين.

قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: 15]: أي أرباب الفكر والغافلون في لبس من خلق جديد بخلاف العارفين، ومَن اعتقدهم فلا لبسَ عندهم، وإنما كان ﷺ نقطة هذا التجلِّي؛ لأن مداره عليه، إذ الكل فروعه وهو قطبها.

(الجوالة) صفة للنقطة صيغة مبالغة.

(الجائل) وفي القاموس أجاله، وبه أَداره كجال به.

(بدوائر) متعلق بالجوالة.

(الأكوان) مضاف إليه لدوائر وهي من قبيل إضافة المشبَّه به إلى المشبَّه كلجين الماء: أي الأكوان التي هي كالدوائر الوهمية في أنها لا وجود لها في نفسها؛ إذ هي هالكة في حد ذاتها.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] وإنما كان نبيُّنا ﷺ مدير الأكوان كإدارة النقطة للدوائر الوهمية، واستنظره في الشعلة

الجوالة؛ لأنه ﷺ روح الكون، وساري في الكل، وما امتازوا عنه إلا بالتعينات الوهمية.

كما قال رضي الله عنه:

دوائرٌ أوهامٌ بها شُغِلَ الفكرُ فظاهِرُهَا خلقٌ وباطنها أمرُ

ولأن الوجود دوريٌّ خصَّ التشبيه بالدوائر، فهو ﷺ بظهوره وسرايته في الكل ظهروا كما تظهر الدائرة الوهمية في الحسِّ بالشعلة الجوَّالة.

(سر الهُوية) القطع أولى الكمال بالمدح، واعلم أن الذات الإلهية إذا اعتبرت من حيث هي، هي أعم مِنْ أن تكون موصوفة بصفةٍ ما أو غير موصوفةٍ بها، فهي مُسمَّاة عند القوم قَدَّس الله أسرارهم بالهوية السارية في جميع الموجودات، وإذا أخذت بشرط أن لا يكون معها شيء من الأسماء والصفات فهي مسماة بالأحدية، وإذا اعتبرت.

وسرُّ الحقيقة ما لا يغشى من حقيقة الحق في كل شيء، وإنما كان ﷺ سر الهوية؛ لأنه ﷺ لا يجوز إفشاؤه لمن اطَّلع عليه حقيقة ﷺ.

أو المراد بالسرِّ هنا: الظهور كما اصطلح عليه في الجملة، فالمعنى هو ﷺ ظهور الهويَّة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10].

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: 17].

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80] ولا حلول، ولا اتحاد؛ إذ لا وجودين التي صفة الهوية في كل شيء مطلقاً، هي سارية سرياناً ذاتياً إحاطياً بلا حلول ولا اتحاد، وإذا ظهرت به ﷺ الهوية بل هو ظهورها، فالأسماء والصفات من باب الأولى.

قال شيخنا شيخ السُّنَّة عبد الغني النابلسي قُدِّس سرُّه: طه الرسول تكونت من نوره البريَّة، ثم لو تُرك القطا: أي هناك أمور أُخر لو تركوا الطعن فيَّ لأظهرتها، يشير إلى ابتلائه بأهل الإنكار خذلهم الله تعالى، والذي تركه

قُدِّس سرُّه قد صرَّحنا به، ويحتمل معاني أُخر.

(وعن كل شيء مجردة): أي منزَّهة خالية؛ لأنه يستحيل الحلول عليه تعالى كيف ولا وجود لغيره، وإنما الأشياء تقديرات عدميَّة في ذاتها لم تشم رائحة الوجود؛ لأنها إلى الآن لم تخرج من حضرة الأعيان الثابتة، وهذا الوجود وجود الحق، والصور المرئية ظلاله، فهويته سبحانه وتعالى:

(مجردة) عن هذه الصور الظلالية.

(وعارية) عنها، أو العطف تفسيري للتأكيد، أو لدفع إيهام الاتصال، والأول بالنسبة إلى عالم الأمر والثاني إلى عالم الخلق، أو بالعكس.

قال المصنف:

[أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها، ومقسِّمها على حسب القوابل وموزِّعها، كلمة الاسم الأعظم، وفاتحة الكنز المطلسم، المظهر الأتَمُّ، الجامع بين العبودية والربوبية، والنشء الأعمُّ الشامل للإمكانية والوجوبية، الطود الأشمُّ الذي لم يزحزحه تجلِّي التعينات عن مقام التمكين، والبحر الخضم الذي لم تعكِّره جيف الغفلات عن صفاء اليقين، القلم النورانيُّ الجاري بمداد الحروف العاليات].

قال الشارح:

(أمين الله) من الأمانة، وهو بالرفع خبر مبتدأ محذوف «المصباح»، أَمِنَ بالكسر أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً، فقيل: الوديعة أمانة انتهى.

وإنما كان ﷺ أمين الاسم الجامع؛ لأن حقيقته ﷺ لم تزل قائمة في مظهرية الألوهية في جميع الحضرات والمراتب، وما انفكَّت عن دعوة جميع الحقائق، والأرواح إلى توحيد الذات مفيضةً عليهم، وممددةً كل فضيلةٍ، وإفضال، وكل خيرٍ، وكمال، فجميع الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم ما أخذوا العلوم في النشئات السابقة قبل هذه النشأة العنصرية

من جهة حقائقهم، وروحانياتهم وما أخذوا بعد انبعاثهم في هذه النشأة العنصرية البشرية العلوم المتعلقة بهم وبنبوتهم الخاصة، وأمتهم الخاصة إلا مِنْ حقيقته ﷺ، وإن لم يكن موجوداً بوجوده البشري الجمعي في زمن دعوة الأنبياء وزمان نبوَّاتهم، وكان مؤخراً عنهم بوجوده الطيني لكن كان موجوداً بحقيقته النوريَّة الأكمليَّة، ولا يزال ﷺ يمدُّ، ويفيض على الكل في البرزخ، والجنة، وسائر المواطن، فهو ﷺ قد وَدَعَ الله تعالى فيه أسرار الملك، والملكوت، والغيب، والجبروت.

(على خزائن) جمع خزانة بكسر الخاء: مكان الخزن، والجار متعلق بأمين، والمراد بها الحضرات كلية، أو جزئية.

(الفواضل) جمع فاضلة، وهي المزايا المتعدية، والفضائل هي: المزايا الغير المتعدية لكن التحقيق على أنه متى اجتمعا افترقا، ومتى افترقا اجتمعا كالفقير، والمسكين، فالكلام عمومي، وإنما أضاف الخزائن إليها؛ لأن المراد بها الكمالات مطلقاً، وكل واحدة من الحضرات فيها كمالات وأسرار لكن لا تظهر إلا على يد نبينا محمد ﷺ والكلام مبني على الاستعارة التمثيلية فكل خيرٍ معنوي، أو حسي يصل إلى شيء كائناً ما كان إنما هو على يد نبيِّنا محمد ﷺ.

لائحةٌ تُعطي معنى آخر:

الخزائن الأسماء، والصفات المتعلقة بالجود، والإضافة فهو ﷺ أمين عليها؛ إذ لا يتجلَّى الحق تعالى باسم من تلك الأسماء أو صفة من تلك الصفات، ولا يفيض على أحدٍ إلا بوساطته، فخلع العطايا إنما تخرج على يده ﷺ، بل هو ﷺ أمين كل الأسماء والصفات المتعلقة بالإظهار والظهور.

(ومستودعها) اسم مفعول عطف على أمين، **والمستودع**: مَنْ وُضعت عنده الودائع ونبيُّنا ﷺ أودع الحق تعالى عنده الأسرار الحفيَّة، والخلقية؛

من جهة حقائقهم، وروحانياتهم وما أخذوا بعد انبعاثهم في هذه النشأة العنصرية البشرية العلوم المتعلقة بهم وبنبوتهم الخاصة، وأمتهم الخاصة إلا مِنْ حقيقته ﷺ، وإن لم يكن موجوداً بوجوده البشري الجمعي في زمن دعوة الأنبياء وزمان نبوَّاتهم، وكان مؤخراً عنهم بوجوده الطيني لكن كان موجوداً بحقيقته النوريَّة الأكمليَّة، ولا يزال ﷺ يمدُّ، ويفيض على الكل في البرزخ، والجنة، وسائر المواطن، فهو ﷺ قد وَدَعَ الله تعالى فيه أسرار الملك، والملكوت، والغيب، والجبروت.

(على خزائن) جمع خزانة بكسر الخاء: مكان الخزن، والجار متعلق بأمين، والمراد بها الحضرات كلية، أو جزئية.

(الفواضل) جمع فاضلة، وهي المزايا المتعدية، والفضائل هي: المزايا الغير المتعدية لكن التحقيق على أنه متى اجتمعا افترقا، ومتى افترقا اجتمعا كالفقير، والمسكين، فالكلام عمومي، وإنما أضاف الخزائن إليها؛ لأن المراد بها الكمالات مطلقاً، وكل واحدة من الحضرات فيها كمالات وأسرار لكن لا تظهر إلا على يد نبينا محمد ﷺ والكلام مبني على الاستعارة التمثيلية فكل خيرٍ معنوي، أو حسي يصل إلى شيء كائناً ما كان إنما هو على يد نبيِّنا محمد ﷺ.

لائحةٌ تُعطي معنى آخر:

الخزائن الأسماء، والصفات المتعلقة بالجود، والإضافة فهو ﷺ أمين عليها؛ إذ لا يتجلَّى الحق تعالى باسم من تلك الأسماء أو صفة من تلك الصفات، ولا يفيض على أحدٍ إلا بوساطته، فخلع العطايا إنما تخرج على يده ﷺ، بل هو ﷺ أمين كل الأسماء والصفات المتعلقة بالإظهار والظهور.

(ومستودعها) اسم مفعول عطف على أمين، **والمستودع**: مَنْ وُضعت عنده الودائع ونبيُّنا ﷺ أودع الحق تعالى عنده الأسرار الحفيَّة، والخلقية؛

لأنه الخليفة الأكمل والواسطة الأمثل.

(ومقسمها) اسم فاعل من باب الأفعال أو التفعيل، والثاني أقبل، وإن كان المعنى واحداً، والضميران يرجعان إلى الفواضل، وإنما كان ﷺ مقسِّماً؛ لأنه الأمين عليها والواسطة العظمى فيها، والخليفة الأكبر الذي فُوِّض إليه الأمر والتصرف فيها.

قال ﷺ ما معناه: **«إن الله هو الرزاق وأنا القاسم»** ولا يراد أنه ﷺ أكمل العارفين وسيدهم، والمعرفة لا تقتضي التصرف، بل تقتضي الظهور بعناية العجز والضعف؛ لأن هذا التقسيم كان عن أمرٍ إلهي، وجبر من عند ربه لا باختيار، والمأمور المجبور معذور، بل لا يلزمه العذر؛ لأن مقتضى العبوديَّة امتثال أمر السيِّد، فإذا تصرَّف بالأمر والجبر، فإنما يتصرف من كمال العبودية، بل المتصرِّف، والمقسم في الحقيقة هو الله تعالى كما هو شأن قرب الفرائض، فتقسيماته، وتصرفاته تصرفات إلهية واقعة بظهوره تعالى فيه الظهور الأتم الأكمل.

لائحة لمعنًى آخر: إنما كان ﷺ مقسماً لاطِّلاع الحق تعالى له على سرِّ القدر والأعيان الثابتة واستعداداتها، فيعطي بأمر الله، والخلافة الأصلية ما تقتضيه كل عين.

قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: 26].

والغيب: هو الأعيان الثابتة واستعداداتها.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: 27] نبيًّا مرتضى بلا شك، ولا ينافي ما قررناه ما قاله شيخنا الأستاذ قُدِّس سرُّه في «الفصوص»: من أن الأعيان الثابتة مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو، وقد يُطلع الله تعالى مَنْ يشاء من عباده على بعض الأمور من ذلك؛ لأن هذا في غير الإنسان الكامل المطلق من القيود، والموصوف بأحدية الشاهد والمشهود، الذي اندمجت جميع الأعيان في عينه، واندرجت جميع الأسماء الإلهية في اسمه الأعظم،

فحكمه مخالف لذلك البعض من العبيد الذين اطَّلعوا على بعض الأمور.

قال ﷺ: «**أوتيت البارحة خزائن الأرض والسماء**»[1]، فلك أن تُفسِّرَ الخزائن بالأعيان الثابتة، والفواضل، ومقتضيات الأعيان الثابتة.

(على حسب مقدار القوابل) جمع قابل بمعنى القابلية: أي الاستعداد سواء كان مجعولاً أو غير مجعول؛ لأن الله أعطى كل شيء خَلقهُ، فلا تُقسِّم إلا على حسب العلم الإلهي، والعلم تابع للمعلوم فلا تقسيم إلا على قدر القوابل.

(وموزعها) من التوزيع: أي التقسيم فالعطف تفسيري أو الأول بالنظر إلى الاستعدادات الغير المجعولة، والتوزيع بالنظر إلى المجعولة.

(كلمة الاسم الأعظم) رفع الكلمة أكمل، اعلم أن الكلمة يكنى بها عن كل واحدٍ من الماهيات، والأعيان الثابتة، والحقائق، والموجودات الخارجية، وقد يخصُّ كل من المعقولات من الماهيات، والحقائق، والأعيان الثابتة بالكليّة المعنوية، والغيبيَّة، والخارجيَّات بالكلمة الوجودية، والمجرَّدات المفرقات بالكلمة التامة.

قال السيِّد قُدِّس سرُّه في التعريفات: سميت الأعيان كلمات تشبيهاً بالكلمات اللفظية الواقعة على النفس الإنساني بحسب المخارج، وأيضاً كما تدل الكلمات على المعاني العقلية كذلك تدل أعيان الموجودات على موجدها، وأسمائه، وصفاته وجميع كمالاته الثابتة بحسب ذاته ومراتبه.

وأيضاً كل منها موجود بكلمة (كن).

فأطلق الكلمة عليها إطلاق السبب على المسبب، والاسم عين المسمَّى عند القوم، والاسم الأعظم هو الله، وكلمته نبيُّنا ﷺ، وكل حقيقة من الحقائق الغيبيَّة أو العينيَّة فهي كلمة اسم من أسمائه تعالى غير اسم الله،

---

(1) لم أجده بلفظه وصح بلفظ: «أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي». رواه البخاري في صحيحه، باب المفاتيح في اليد، حديث رقم (6611) [6/ 2573] ورواه غيره.

وإن كان كل شيء فيه معنى كل.

فهو ﷺ المظهر الأتم الأكمل، والإمام المقدَّم الأمثل ﷺ، ويحتمل أن يكون الاسم الأعظم هو هو، فيكون ﷺ كلمة الهوية.

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي قُدِّس سرُّه في «الإنسان الكامل»:

اعلم أن هذا الاسم أخص من اسم الله تعالى، وهو سرُّ الاسم الله إلى أن قال: اجتمعت ببعض أهل الله بمكة زادها الله تعالى شرفاً في آخر سنة تسع وتسعين وتسعمائة، فذاكرني في الاسم الأعظم الذي قال النبي ﷺ: «أنه في آخر سورة البقرة، وأول آل عمران»[1]، فقال إنه كلمة هو.

وذلك مُستفاد من ظاهر كلام النبي ﷺ؛ لأن الهاء آخر قوله: سورة البقرة والواو: أول قوله، وأول آل عمران، وهذا الكلام وإن كان مقبولاً فإني أجد للاسم الأعظم رائحة أخرى.

(وفاتحة) عطف على كلمة **(الكنز المطلسم)** من الطلسم كلمة أعجمية، تستعملها العرب بمعنى: الخفاء، فالمطلسم بمعنى: المخفي، والكنز المخفي في اصطلاح القوم قَدَّسَ اللَّهُ تعالى أسرارهم: هو الهوية الأحدية المكنونة في الغيب، وهو أبطن كل باطن، وإنما كان ﷺ فاتحة الهوية الأحدية؛ لأنه أوَّل تعين منها كما مرَّ، ولأنه به فتح كتاب الوجود فهو المفتاح له، فهي على الثاني اسم آله كالسامعة، والباصرة.

وفي الحديث: «**كنت كنزاً مخفيًا فأحببتُ أن أُعرف فخلقتُ خلقاً تعرَّفت إليهم فبي عرفوني**»[2].

فقوله: «فبي» من حيث حساب الجُمَّل اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد كذلك.

---

(1) رواه بنحوه أبو داود في السنن، باب الدعاء، حديث رقم (1496) [2/ 80] ورواه بلفظه ابن راهويه في مسند إسحاق، حديث رقم (28ـ 2310) [5/ 183]. ورواه غيرهما.

(2) أورده العلجوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2016) [2/ 173].

فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ «عرفوني» أو المراد: فبظهوري عرفوني، وهو ﷺ أول مظهر.

وأورد بعضهم: أن الخفاء من الأمور النسبية لا بد فيه من مخفي، ومخفي عليه، لا يجوز أن يكون المخفي عليه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى ظاهر بنفسه لنفسه عالم بذاته أزلاً وأبداً.

ولا يجوز أن يكون هو الخلق؛ لأنهم لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الحق مخفيًا عليهم.

وفي الحديث: «**كان الله ولم يكن معه شيء**»[1].

والجواب بأن للأشياء وجودين وجوداً علمياً، ووجوداً خارجياً.

فالوجود العلمي: الأعيان الثابتة وهي أزلية قديمة.

والوجود الخارجي: محدث، فخفاء الحق تعالى بالنسبة إلى الأعيان الثابتة في الأزل؛ فلما أراد الله تعالى أن تعرفه الأعيان الثابتة أخرجها من الوجود العلمي إلى الوجود الخارجي لتعرف الله تعالى، يقتضي أن تعتبر الأعيان الثابتة مع الهوية الأحدية، وأن تساوقها، وليس كذلك بل الجواب الصحيح أن يقال: إن الخفاء كناية عن عدم عالم به سواه، فكأنه قال ﷺ: كنت كنزاً غير معلوم لأحدٍ سواي، على أن الأمور الذوقية، والأسرار الإلهية لا يلتفت فيها إلى مثل هذا الإيهام.

(المظهر الأتم) الذي لا أكمل منه لكمال سعته وأحدية جمعيته.

(الجامع) من حيث بشريته وحقيقته ﷺ بين العبودية التي لا أكمل منها من حيث بشريته، والربوبية من حيث الحقيقة التي لا أمثل، ولا أوسع منها.

اعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسمَّاة بالماهية والعين الثابتة، وأن لكل منها صورة خارجية مسمَّاة بالمظاهر والموجودات العينيَّة.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

وأن تلك الأسماء أرباب تلك المظاهر وهي مربوبها، وأن الحقيقة المحمديَّة صورة الاسم الجامع أعني: الله وهو ربها ومنه الفيض، والاسم استمداد على جميع الأسماء.

وأن هذه الحقيقة المحمدية هي التي ترب صور العالم كلها بالربِّ الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب؛ لأنها هي الظاهرة في تلك المظاهر، فبصورتها الخارجية المناسبة لصور العالم التي هي مظهر الاسم الظاهر تربِّ صور العالم، وبباطنها تربِّ باطن العالم؛ لأنه ﷺ صاحب الاسم الأعظم، وهذه الربوبية إنما هي من جهة حقيقته لا من جهة بشريته، فإنه من تلك الجهة عبدٌ مربوب محتاج.

كما نبَّه سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110].

وبقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19].

ونبَّه على جهة الربوبية بقوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، فأسند رميه إلى الله، ولا نتصور هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذي حق حقه، وإفاضة جميع ما يحتاج إلى العالم، وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعها، فله كل الأسماء يتصرَّف بها في العالم حسب استعداداتهم، ولما كانت حقيقته ﷺ مشتملة على الجهتين لا يصح لها ذلك أصالةً، بل تبعيته وهي الخلافة، فلها الإحياء، والإماتة، واللطف، والقهر، والرضا، والسخط وجميع الصفات ما عدا الوجوب الذاتي، لتتصرف في العالم، وفي نفسها وبشريتها أيضاً؛ لأنها منه وبكاؤه ﷺ، وضجره، وضيق صدره لا ينافي ما ذكر، فإنه بعض مقتضيات ذاته وصفاته.

ولا يغربنَّ عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض من حيث مرتبته، وإن كان يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم من حيث بشريته.

والحاصل أن ربوبيته للعالم بالصفات الإلهية التي من حيث مرتبته،

وعجزه، ومسكنه وجميع ما يلزمه من الأمور الإمكانية من حيث بشريته.

(والنُشء) بضم النون الاسم، وبالفتح المصدر بمعنى الناشىء: أي الحادث الأعم من كل شيء لوجوده في كل شيء؛ لأن الأشياء مظاهره.

(الشامل للإمكانية): أي الأمور الإمكانية باعتبار بشريته.

(والوجوبية): أي الأمور الإلهية باعتبار ربوبيته على ما مرَّ، أو المراد بالإمكانية الحضرات الإمكانية؛ لأنها مظاهره، وتفاصيله، وبالوجوبية الصفات الإلهية؛ لأنه ﷺ خُلق على الصورة، والمتَّصف بجميع الأسماء الإلهية ما عدا الوجود الذاتي ونحوه.

قال السيِّد الشريف في «التعريفات» الإنسان الكامل: هو الجامع لجميع العوالم الإلهية، والكونية، الكلية، والجزئية وهو كتاب جامع للكتب الإلهية، والكونية انتهى. ولا أكمل من نبيِّنا ﷺ، بل هو الإنسان الكامل بالأصالة وغيره بالتبعية والوراثة.

(الطود): أي الجبل العظيم، أو الجبل مطلقاً.

(الأشم): أي المرتفع على كل ما سوى الله تعالى وصفاته؛ لأنه أصل الأشياء وحقيقته ﷺ جميع الحقائق الكونية؛ لتفرعها من حقيقته، وصورته ﷺ جميع صور الخلائق الروحانية، والجسمانية الظاهرة، والباطنة.

ومن جملة ذلك صورته ﷺ التي بُعثت في مكة، وهاجرت إلى المدينة، وسيرته ﷺ كل أمرٍ همَّ عليه من حين خلقه إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [الأحزاب: 45] من حضرتنا الغيبيَّة عن العقل، والحس.

(شاهداً) تشهد على كل مَنْ خلقناه من نورك؛ لأنك مشاهد ذلك كله.

(ومبشِّراً) لأهل السعادة المخلوقين من نورك بتجلِّي الأسماء الإلهية الجمالية على نورك.

(ونذيراً) لأهل الشقاوة المخلوقين من نورك بتجلِّي الأسماء الإلهية الجلالية على نورك.

(الذي) صفة الطود.

(لم يُزَحْزِحهُ) زحزحه نَحَّاه.

(تجلٍّ): أي انكشاف وظهور جميع أنواع الانكشافات والظهورات كلياتها وجزئياتها، لأن النكرة في سياق النفي تعم.

(عن مقام) متعلقٌ بـ«يزحزحُه».

(التمكين): أي الرسوخ والإضافة من قبيل علم الفقه، وشجر الأراك، فهو ﷺ مع التجلِّيات الإلهية أي تجلٍّ كان راسخ متمكِّن مستقيم في عين تلوينه؛ لأن التمكين في عين التلوين أكمل من التمكين لا غيره هو المراد بالاستقامة في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: 112]: أي تمكن بعين تلوينك، وإن كان المشهور عند القوم خلاف هذا، كما نبَّه عليه الشيخ الأكبر قَدَّس الله سرَّه.

والاشتباه من تجدد الأمثال كالقائل بأن العرض لا يبقى زمانين، والفرق بين الحال والمقام على ما ذكره السيِّد الشريف في التعريفات: أن الحال معنى يرد على القلب من غير تصنُّع، ولا اجتلاب، ولا اكتساب من طربٍ، أو حزنٍ، أو قبضٍ، أو بسطٍ، أو هيبةٍ، ويزول بظهور صفات النفس، فإذا دام، وصار ملكة يسمَّى مقاماً، فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الوجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود، وهذا التعريف غالبي.

(والبحر) الواسع المحيط بكل شيء لسريته فيه الممتلىء من الأسرار الإلهية، والحقائق الربَّانية والرقائق السبحاتية.

(الخضم) بتشديد الميم الواسع المحيط.

(الذي) صفة البحر.

(لم يعكره) من التعكير بمعنى: التكدير.

(جيف) جمع جيفة، في المصباح: الجيفة الميتة من الدَّواب، والمواشي إذا أنتنت، والجمع: جيف مثل سدرة وسدر، سميت بذلك لتغير ما في جوفها، والمراد بالجيف: الكفار، والمنافقون الذين كانوا في زمانه ﷺ، وإنما سموا جيفاً لتغير باطنهم بالتكذيب والشرك، فكانوا موتى القلوب، فهم أنجاس كالميتة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28]، وأهل الله يشمون نتن المعاصي فكيف الكفر مع المعاصي، ولما كانت الغفلة من لازمهم أضاف الجيف التي هي عبارة عنهم إليها بقوله.

(الغفلات عن صفاء) متعلق بتعكره.

(اليقين) مضاف إليه لصفاء، والمراد باليقين التحقق بالله وشهود وجهه في كل شيء وحديث الضيق ونحوه قد مرَّ، فتذكر القلم الأعلى.

(النوراني) نسبة إلى النور، ورد في الحديث: «**أول ما خلق الله نوري**»[1]، وهو المسمَّى بالقلم الأعلى؛ لأنه به ﷺ تفصَّلت الأشياء وظهرت، كما ظهرت الحروف والكلمات التي هي مجملة كامنة في مداد الدّواة بالقلم الشهادي، والنور كاشف للأشياء وهو ﷺ به علم الحق والخلق، وبه تمَّ الظهور، وارتفعت الستور.

(الجاري) ذلك القلم.

(بمداد الحروف العاليات) اعلم أن الحروف هي الحقائق البسيطة من الأعيان الثابتة عند السادة الصوفية قَدَّس الله أسرارهم، والحروف العاليات الشؤون الذاتية الكامنة في غيب الغيوب كالشجرة وأغصانها، وأوراقها،

---

(1) أورده برهان الدين الحلبي في سيرته، لا معادل ولا مماثل له [1/ 240] وأورده علي القاري في مرقاة المفاتيح، الفصل الثاني، [1/ 270].

وأزهارها، وأثمارها الكامنة في النواة، وهي التي تظهر في الحضرة الواحدية، وتتفصَّل بالقلم الأعلى، وإلى الحروف العاليات أشار شيخنا الشيخ الأكبر المؤلف بقوله:

كنَّا حروفاً عالياتٍ لَمْ نُقَلْ مُتَعَلِّقَات في ذرى أعلى القُلَل

والمداد: الحبر والمراد ما به تظهر تلك الشؤون من غيب الغيوب إلى حضرة العلم، وإلى غيرها؛ لأنه أول التعينات مطلقاً، أو المراد بالمداد: أصل الحروف العاليات وهي الأسماء والصفات الكامنة: أي في غيب الغيوب، وإنما كان ﷺ قلماً جارياً بأصل الحروف العاليات؛ لأنه مظهر الاسم الأعظم الذي هو رب الأسماء، وهنا سرُّ الفيض الرحماني الساري من حيث الذات والإمداد.

قال المصنف: [**والنَّفس الرحمانيُّ الساري بمواد الكلمات التامَّات، الفيض المقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها، والفيض المقدس الصفاتيُّ الذي تكوَّنت به الأكوان واستمداداتها**].

قال الشارح:

(بمواد): أي جمع مادة: أي أصول.

(الكلمات) جمع كلمة وقد مرَّت.

(التَّامات) قد عُرِّفت فيما مضى.

(المقدَّس) اسم مفعول.

(الصفاتي) نسبة إلى الصفات الأمهات وغيرها، ولعل النسبة كأنصاري.

(الذي) صفة للفيض المقدس، **(تكونت)** ظهرت، **(به الأكوان)**: أي ما سوى الله تعالى.

(واستمداداتها): أي توابعها ولوازمها.

اعلم أن الفيض ينقسم إلى قسمين الفيض الأقدس، والفيض

المقدس، وبالأول حصلت الأعيان واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني تحصل الأعيان الخارجية ولوازمها وتوابعها، والاستعدادات المجعولة، ولما كان نبيُّنا ﷺ من عينه تفرَّعت الأعيان في العلم.

ومن وجوده في الخارج تفرَّعت الموجودات الخارجية، وكان المقصود من الخلق لولاك لولاك لما خُلقت الأفلاك، جعله شيخنا الشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه الفيض الأقدس والمقدس، ولأنه ﷺ أول التعينات؛ فالفيض الأقدس والمقدس مندرج فيه.

(الفيض الأقدس): أي الأكثر تقديساً من المقدس الذاتي نسبة إلى ذات الحق تعالى. **(الذي)** صفة الفيض، **(تعيَّنت به)** الضمير عائد للموصول.

(الأعيان الثابتة) في الحضرة العلمية.

(واستعداداتها) الغير المجعولة.

قال المصنف:

[مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات، ومنبع نور الإفاضات في رياض النسب والإضافات، خط الوحدة بين قوسي الأحدية والواحدية، وواسطة التنزُّل من سماء الأزليَّة إلى أرض الأبديَّة].

قال الشارح:

(مَطلع) بفتح اللام وكسرها مصدر ميمي، وفعل من الباب الأول، فالثاني سماعي، ويجوز الكلمة التامة، فالغير من باب الأولى أن يسري فيه، أو الكلام تغليبي.

أو أن الكل يسمَّى تاماً باعتبار الدلالة على الذات والصفة، والنفس الرحماني عبارة عن الوجود العالم المنبسط على الأعيان، ويطلق عليه الهيولي الحاملة لصور الموجودات.

والأول مرتب على الثاني، وإنما كان ﷺ نفساً سارياً بمواد كل

الكلمات؛ لأنه ﷺ هيولي الكل، وأصله في العلم والخارج.

ومنه خلقوا فهو الحامل لصورهم، وما امتازوا عنه ﷺ إلا بالتعينات الوهمية تشبيهاً بنفس الإنسان المختلف بصور الحروف.

ولذا سُمِّيت الأعيان كلمات تشبيهاً بالكلمات اللفظية الواقعة على النفس الإنساني بحسب المخارج.

(والفيض) عطف على الفيض الأقدس أن يكون اسم مكان، وهذا معنوي ذوقي لا حسي فلا حلول، شمس الذات الإلهية القديمة الأزلية، والإضافة من قبيل لجين الماء، ووجه الشبه، والظهور، والإظهار والكلام تقريبي: أي هو ﷺ ظهور الذات الظاهرة بها المظهرة لغيرها أو مظهرها الأتم فهو ﷺ من الذاتيين، بل هو الأصل فيه في سماء الأسماء الربَّانية، والصفات الإلهية، والإضافة كالأول، والكلام هو الكلام.

وفي بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفجر: 29]: أي مع عبادي، والمعنى أنه ﷺ ظهور الذات والأسماء والصفات، ويجوز أن يُراد بالسماء التعينات كلية أو جزئية، وفيه تلويح إلى أن الأسماء كلية أو جزئيّة كالكواكب والنجوم، وأنه ﷺ مظهر الذات المُسمَّى بالله، والخلق ظاهر الأسماء التي تحت حيطة اسم الله، وهم تعيناته ومظاهره ومنبع نور الإفاضات الذاتية والأسمائية والصفاتية.

(في رياض النسب والإضافات) المراد بالنسب والإضافات نحو الأكوان، والإضافة كلجين الماء.

فهو ﷺ أصل كل انكشاف، وسر وعرفان وخير مترتب على إظهار الكمالات الإلهية، وظهورها في نحو الأكوان كلها؛ لأنه التعين الأول، والكل متفرع عنه ﷺ.

(خط الوحدة): أي كتابة الذات الإلهية الواحدة والمجاز لقوي في الطرفين، فإن الخط بمعنى المخطوط: أي المكتوب، والوحدة بمعنى

الواحد، والعلاقة: التعلق، وإنما كان ﷺ مكتوب الحق؛ لأن الحق تعالى كتبه من باب الفضل والمنَّة والوعد على نفسه.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 12]، ونبيُّنا ﷺ عين الرحمة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

(بين قوسي الأحدية) هي اسم الصرَّافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، ويمتنع الاتصال بالأحدية للمخلوق؛ لأنها الصرّافة المذكورة، والبعد قد حكم عليه بالمخلوقية، فلا سبيل إلى ذلك.

وأيضاً الاتصاف افتعال وتعمُّل، وذلك مغاير لحكم الأحدية، فلا تكون للمخلوق، فهي لله تعالى مختصَّة به، فإن شهدت نفسك في هذا التجلِّي، فإنما شهدت من حيث إلهك وربك فلا تدَّعيه لخلقيَّتك.

فليس هذا المجلى مما للمخلوق فيه نصيب، لذا حكم الأستاذ قدس سره بالبينيَّة فهو البرزخ الأعظم ﷺ.

(والواحدية) هي حضرة الأسماء، والصفات فتجلِّيه ﷺ برزخي جمعي بين الأحدية والواحدية فهو كالخط المار بنقطة الدائرة القاسم لها إلى قوسين، فظهر لك معنى آخر في الخط.

والفرق بين الأحدية، والواحدية، والألوهية أن **(الأحدية)**: لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات.

(والواحدية): تظهر فيها الأسماء والصفات مع مؤثراتها لكن لا بحكم افتراقها، فكل منها عين الآخر.

(والألوهية): تظهر فيها الأسرار والصفات لكن بحكم ما يستحقُّه كل واحدٍ من الجميع.

فيظهر فيها أن المنعم ضد المنتقم، وهكذا لائحة نبيِّنا ﷺ خط الدائرة الواحدة التي القوس الأول منها الأحدية. والقوس الثاني الواحدية، فبه ﷺ

تبيَّنت المرتبتان كما يظهر القوسان من الدائرة الواحدة بالخط المار بمركز الدائرة.

(وواسطة) وسيلة.

(التنزل الإلهي): أي الظهور الإلهي فهو ﷺ وسيلة الأمر لقصد التخلي، والتحلي من سماء: أي المراد بها المرتبة الأحدية المعبر عنها بالعماء، وشبِّهت بالسماء لارتفاعها عن المرتبة الواحدية، والإلهية، فالاستعارة مصرَّحة.

(الأزلية): أي الحضرة الأزلية، **(إلى الأرض)** المراد بها: ما نزل عن المرتبة الأحدية فعمَّ الأعيان الثابتة، والأرواح، وبقية الحضرات، وإنما كان ﷺ واسطة الظهور والنزول من الحضرة الأحدية إلى بقية الحضرات؛ لأنه التعين الأول الذي تفرَّعت منه الأعيان الثابتة، والأرواح، والأشباح وكل ما سمي سوى، والذي تعيَّنت به الأسماء والصفات، فالظهور لا يكون إلا بواسطته لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك، فلولاه ﷺ لم يظهر الحق تعالى بهذه الأشياء، بل الظهور بها ظهور به ﷺ لأنهار فروعه وتفاصيله.

(الأبدية) نسبة إلى الأبد، وإنما نسب الأرض للأبد؛ لأن نحو الإنسان خلق للخلود، وإن تخلل الموت فهو انتقال من موطن إلى موطن، وهو الثلث الأخير الذي لا يعقبه صباح كما نبَّه عليه الأستاذ في الفتوحات المكية.

قال المصنف: **[النسخة الصغرى التي تفرَّعت عنها الكبرى، والدرة البيضاء التي تنزَّلت إلى الياقوتة الحمراء، جوهرة الحوادث الإمكانيَّة التي لا تخلو عن الحركة والسكون، ومادة الكلمة الفهوانيَّة الطالعة من كن كن إلى شهادة فيكون، هيولي الصور التي لا تتجلَّى بإحداها مرةً لاثنين، ولا بصورةٍ منها لأحدٍ مرتين]**.

قال الشارح:

(النسخة): أي الكتاب المنقول؛ لأنه ﷺ مخلوق على الصورة الإلهية، أن الله خلق آدم على صورته، وهو آدم الحقيقي ﷺ.

(الصغرى) من حيث الحجم، وإلا فهي من حيث إن الكبرى فيها أكبر من الكبرى. قال علي رضي الله عنه:

وتـزعـم أنَّـك جـرمٌ صـغـيـرٌ وَفـيـكَ انـطـوَى الـعَـالـمُ الأكـبـرُ

(التي تفرَّعت) خلقت وظهرت عنها النسخة الكبرى؛ لأنه ﷺ أصل الكل، وسار فيهم كما مرَّ، فالكبرى منقولة عن الصغرى.

والصغرى منقولة عن الحق بلا واسطة **(والدرة البيضاء)**: أي العقل المفارق وهو العقل الأول، والقلم الأعلى، والنور المحمَّدي.

قال ﷺ: **«أول ما خلق الله نور نبيِّك يا جابر»**[1].

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (827) [1/ 311]. ونصه كما أورده الصاوي في حاشيته على الشرح الصغير: قوله: [الحديث]: أي ونصه: [أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله؟ فقال هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شر، فحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب إثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب إثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم، والروح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف إثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء إثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء، والحلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء إثني عشر ألف سنة، ثم نظر إليه فترشح ذلك النور عرقاً، ففطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً، وأربعة آلاف قطرة فخلق الله تعالى من كل قطرة روح نبي أو رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة؛ فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله إثني عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة =

(التي تنزَّلت): أي ظهرت، نازلة إلى الياقوتة الحمراء، بل هي خطرة من خطراتها كما نبَّه عليه المؤلف قُدِّس سرُّه في فتوحاته المكية.

قال السيِّد الشريف قُدِّس سرُّه في تعريفاته: الياقوتة الحمراء هي النفس الكلية لامتزاج نورانيتها بظلمة التعلق بالجسم، بخلاف العقل المفارق المعبر عنه بالدرة البيضاء انتهى. **(جوهر)** هو ما قام بذاته بخلاف العرض، ولما كانت الحوادث غير الأعراض كلها من جواهر فردة كما هو مذهب أهل الحق، ولا يمكن تحقق الحوادث بدونه.

أشار قُدِّس سرُّه بقوله: **(جوهر الحوادث الإمكانية)** نسبة إلى الإمكان نسبة الموصوف إلى الصفة العامة؛ لأن كل حادث ممكن من غير عكس كلي إلى أن قوام الحوادث به ﷺ كما لا قوام للحوادث بدون الجواهر؛ إذ الجوهر مظهره ﷺ، وهو لا يتبدَّل كما أشرنا إليه سابقاً، وحديث الأعراض أولوي، أو المراد الحقيقة الجوهرية التي هي عبارة عن النفس الرحماني: أي المراد أنه ﷺ أنفس الحوادث الإمكانية؛ إذ الجوهر من أنفس الأشياء.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] بفتح الفاء كما في بعض القراءات التي لا تخلو عن الحركة هي كونان في آنين في مكانين، والسكون كونان في آنين في مكان واحد، وهما من لوازم الحوادث لا يرتفعان عنها، ولا يجتمعان، ويجوز أن يكون المراد أنه ﷺ أنفس الموجودات المتحركة لطلب الكمال، والساكنة بمشاهدة في الجلال، أو المراد بالحركة السير في الله وهو لا نهاية له.

= وهي مقامات العبودية، وهي حجاب الكرامة والسعادة والرؤية والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض فكان يضيء بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث ولده، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى زوجه أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين الغر المحجلين هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر).

وإن كان السير إلى الله منتهياً؛ لأن الأول الترقي في نعوت الحق وكمالاته، وهي لا نهاية لها، والثاني التجاوز عن الأكوان وهي متناهية بالنظر إلى ما دخل تحت الوجود **(وبالسكون)** السكون بالله تعالى فيكون إشارة إلى قرب الفرائض، فهو ساكنٌ، والحق تعالى يفعل به.

(ومادة الكلمة): أي أصل الكلمة سواء كانت معنوية، أو غيبية، أو وجودية، أو تامة.

(الفهوانية) من فاه إذا تكلم فالكلمات كلها ناطقة: أي دالة دلالة واضحة على ذات الحق تعالى وأسمائه، وصفاته، أو الحاصلة بخطاب الحق كفاحاً.

(الطالعة) تلك الكلمة من كن كن: أي من ستر كن: أي من غيب الذات التي لها التأثير بكن.

(إلى شهادة فيكون): أي فيظهر ذلك الشيء.

(هيولي) هي لفظ يوناني يعني: الأصل والمادة، وفي اصطلاح الحكماء: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال، والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية، وفي اصطلاح أهل الله تعالى: عبارة عن النفس الرحماني، فإن النفس الرحماني عندهم عبارة عن الوجود العام المنبسط على الأعيان عيناً، وعبارة عن الهيولي الحاملة لصور الموجودات، والأول مرتب على الثاني.

(الصور) جمع صورة، والمراد بالصور التعينات القائمة بالهيولي، والمحمولة لها.

(التي) صفة لهيولي، **(لا تتجلى)**: أي لا تظهر بصورة بأحدٍ، وتعينه سواء كانت من النّاس أو الملائكة أو غيرهما إلا مرة واحدة في كل لحظة.

فإن قلت: الظاهر هو الله فكيف؟

قلت: بعد أن عرفت أنه ﷺ واسطة التنزُّل والظهور لا تعجب فلا

كيف، لا تتجلى بصورة أحد مطلقاً.

(اثنين) لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾ [القمر: 50]: أي ما ظهورنا بواسطة الحقيقة المحمدية بصور الأشياء على حسبها إلا واحدة كلمح بالبصر، فالعالم لا يبقي زمانين، وبقاء الأحكام لاعتبار العين.

قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: 15]، وأما أهل الكشف فلا لبس عليهم كما تشير إليه الآية الشريفة.

(ولا) تتجلَّى، وتنكشف، وتظهر.

(بصورة منها): أي من الصور التعينات الوهمية الخلقية، **(لأحد)** من الناس وغيرهم **(مرتين)**: أي تجليين، فإن التجلِّي لا يتكرر للوسع الإلهي والاشتباه من تكرر الأمثال بالمثلية الوهمية، وإلا فلا مثل في الحقيقة كما نبَّه عليه الأستاذ في الفتوحات.

قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: 15].

قال المصنف: **قرآن الجمع الشامل للممتنع والعديم، وفرقان الفرق الفاصل بين الحادث والقديم، صائم نهار: «إنِّي أبيتُ عند ربِّي».**

وقائم ليل: «تنام عيناي ولا ينام قلبِي».

قال الشارح: **(قرآن)** وهو عند أهل الله تعالى العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها، والجمل من قبيل هو عدل ولكون القرآن معتبراً فيه.

(الجمع) إضافة إلى الجمع تأكيداً، أو المراد بالجمع المعنى الاصطلاحي عندهم وهو شهود الحق بلا خلق: أي هو ﷺ عين العلم اللدني الجامع في مقام الجمع لائحة القرآن الجامع للحقائق الحقيَّة، والخلقية، والإضافة بيانية ادِّعائه.

(الشامل) ذلك القرآن بمعنى العلم اللدني الجامع، والشمول على تقدير اللائحة باعتبار العلم.

(للتمنع) كشريك البارىء جلّ وعلا، والولد، والصاحبة وكل ما يخل بالألوهية تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ولا شك أن العلم يتعلق بالواجب، والممكن، والممتنع.

(والعديم): أي المعدوم، وهي الممكنات، وإنما أطلق عليها قدس سره العديم؛ لأنها في حد ذاتها هالكة معدومة، والوجود الذي ظهرت به وجود الحق تعالى.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] فهي لم تزل هالكة معدومة لم تشم رائحة الوجود، ولم تخرج من حضرة العلم، وإنما وجدت، وظهرت بالله تعالى، فمن ادّعى الوجود لنفسه فقد ظلم، وتعدى، واستحق الإضلال من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: 27].

(وفرقان) هو في اصطلاح أهل الله تعالى العلم التفصيلي الفارق بين الحق، والباطل، والحمل كالأول، والمراد أنه ﷺ عين العلم التفصيلي لتحققه به في مقام:

(الفرق)، والمراد به الفرق الثاني وهو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر، أو المراد فرق الجمع بقرينة ذكر الجمع أولاً، فهذا فرقه، وهو شهود تكثر الواحد بظهوره في المراتب التي هي شؤون في الحقيقة واعتبارات محضة لا تحقق لها إلا عند بروز الواحد بصورها، والأمر هنا كالأمر هناك.

(الفاصل) صفة لفرقان.

(بين الحادث) الذي لم يكن ثم كان.

(والقديم) الذي لم يزل ولا يزال وهو الحق تعالى، وإنما كان ﷺ فرقاناً في مقام الفرق لتمييزه بين الحق تعالى والباطل وهو ما سواه، ولكونه

عين التمييز لا تشتبه عليه ﷺ الحقائق، فلذا يعطي كل ذي حق حقه ﷺ وآله وصحبه وشرف وكرم.

(صيام) من الصوم، وهو الإمساك عن رؤية السوى وشهوده، ولا سوى في المبين عند ارتفاع الغين بالعين، فهو ﷺ لم يزل صائماً أبداً في الدنيا، والبرزخ، وفي الآخرة بشهود ورؤية نهار الذات الظاهرة بحسب الأسماء والصفات في كل شيء حسي وعقلي، وظني، ووهمي على حسب ذلك الشيء، ففي الكلام استعارة مصرَّحة والإضافة لأدنى ملابسة، والحمل على الظاهر لا يخفي، والمجاز عليه عقلي إيقاعي إن لم تؤخذ الإضافة بمعنى في: **«إني أبيت عند ربي لا عند نفسي ولا عندكم»** في صحيح البخاري[1] عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تواصلوا قالوا: إنك تواصل، قال: لست كأحدكم إني أُطعم وأُسقى أو إني أبيت أُطعم وأُسقى»**.

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها: **«نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم فقالوا: إنك تواصل، قال: إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني»**[2].

(وقائم ليل تنام عيناي ولا ينام قلبي) لأن قلبه ﷺ عند ربه.

(لا يزال يشهده) ويترقى من كمال إلى أكمل، وهلم جرا، وإضافة قائمٌ إلى ليلٍ كما مرَّ، وإضافة ليل إلى تنام... إلخ لأدنى ملابسة كإضافة نهار إلى إني... إلخ.

وفيه إشارة إلى أنه ﷺ قائمٌ بحقوق الخلق الذين هم التعينات الوهمية العدمية الظلمية، وإلى أن ظاهره ﷺ معهم وباطنه مع الله تعالى، فيكون

(1) باب الوصال، حديث رقم (1860) [2/ 693] ورواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الوصال، حديث رقم (1102) [2/ 774] ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب الوصال، حديث رقم (1863) [2/ 693] ورواه مالك في الموطأ، باب النهي عن الوصال، حديث رقم (668) [1/ 301].

حاصل الأسرار أنه ﷺ قائم بحقوق ليل الخلق باعتبار نظره لهم، ولكن قلبه ﷺ مع الله تعالى.

قال المصنف:

[واسطة ما بين الوجود والعدم: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، ورابطة تعلُّق الحدوث بالقدم: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، فذلك دفتر الأول والآخر، ومركز إحاطة الباطن والظاهر].

قال الشارح: **(واسطة)**: أي هو ﷺ واسطة.

(ما بين الوجود) الحق الواجب لذاته المطلق بالإطلاق الحقيقي، وهو الذي لا يقابله تقييد القابل لكل تقييد، وإطلاق: أي الوجود لا بشرط القائم بذاته المتعين بذاته، والوجود عين الذات عند أهل الله، والأشعري والمحققين من المتكلمين، والكلام في الوجود بمعنى مبدأ الآثار لا في الوجود بمعنى كون الشيء في الأعيان، فإنه مفهوم اعتباري، ومن العرضيات.

(والعدم) والمراد به القيود، وصور الشؤون الذاتية وتعيناتها، ومظاهر الأسماء وتعيناتها فهو ﷺ واسطة الأعيان الثابتة وصورها، وإنما عدما: أي معدومتين، أما الأعيان فلأنها لم تشم رائحة الوجود، وأما صورها فلانها موجودة بعين وجود الله من غير حلول ولا اتحاد، والصور والتعينات لا وجود لها في حد ذاتها، فهي باقية على عدمها الأصلي، وإليه أشار الأستاذ مستشهداً بقوله: **(مرج)**: أي أرسل من مرجت الدابة إذا أرسلتها، **(البحرين)** البحر العذب، وهو إشارة إلى الموجود الواجب القائم بذاته، والبحر المالح وهو إشارة إلى العدم، وهو الصور الوهمية والتعينات التقديرية، **(يلتقيان)** من غير حلولٍ ولا اتحادٍ؛ إذ لا وجودين، والقيود والإضافات والتقديرات لا وجود لها.

والحاصل أن السادة الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم ذهبوا إلى أن الواجب هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي، حتى عن قيد الإطلاق،

فالمطلق لبيان الإطلاق، وكالمطلق في المفعول المطلق، لا للتقييد بالإطلاق المنبسط من حضرة اسمه الباسط على وجه الإحاطة، كل ما خطر ببالك فالله من وراء ذلك؛ لأنه محيطٌ بكُلِّ شيءٍ ومن جملته ما خَطَرَ ببالك إلاّ إذا لم تكن هنالك، فاللّه عين ذلك، فوفق على جميع الأشياء، وأنه واحد لا كثرة فيه أصلاً، وإنما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب؛ إذ الكل في الحقيقة واحدٌ يتكثر وينبسط على المظاهر، لا بطريق المخالطة، ويتكرر في النوٰاظر لا بطريق الانقسام فحينئذٍ لا حلول ولا اتحاد؛ إذ ليس في وراء الوجود غيره ديار.

وقول التفتازاني في «شرح المقاصد» بعد أن ذكر هذا: إنه خارج عن طريق العقل والشرع رددنّاه في حاشيتنا على شرح الخيّالي للنونية فارجع إليها.

(ورابطة): أي وسيلة **(تعلق الحدوث)** ظهور صور الشؤون الذاتية وهي المخلوقات **(بالقدم)**، وهي حضرة الوجود الواجب والتعلق تعلق افتقار واحتياج.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [فاطر: 15]، وإليه أشار مُستشهداً بقوله تعالى: **(بينهما)** هو بين بحري القدم والحدوث، وهذا لا ينام فيما مرَّ **(برزخ)** هو الحاجز بين الشيئين، والمراد به الحقيقة المحمَّديَّة التي هي برزخ البرازخ والتعين الأول والبرزخ الأول والأعظم والأكبر؛ فالظهور إنما يكون به أولاً وبالذات ثم بالغير بطريق الفرعية والتبعية.

(لا يبغيان): أي لا يبغي أحدهما على الآخر في أخذ ما لصاحبه، فالحق ليس له ما للعبد من صفات الفقر والحاجة والذل والنقص، وليس للعبد ما للحق من الوجود والكمالات بأسرها شيء، فإذا ادَّعى شيئاً منها لنفسه فقد تعدَّى وظلم.

اعلم أن الوجود واحدٌ وله ظهورٌ وهو العالم، وله بطونٌ وهو الأسماء، وله برزخٌ جامعٌ فاصلٌ بين العالم والأسماء حتى يتميز به الظهور عن البطون والبطون عن الظهور وهو نبيُّنا ﷺ أصالةً، والبرزخية لغيره وراثةٌ؛ فالظهور مرآة البطون والبطون مرآة الظهور، والشيء الفاصل بينهما مرآة الظهور والبطون، فلك أن تنزل كلام الأستاذ قُدِّس سرُّه على هذا:

(فذلكة) مأخوذة من قول الحساب بعد الجمع.

فذلك كذا: أي نبينا ﷺ الموصوف بالأوصاف المتقدمة حاصل:

(دفتر) كتاب **(الأول)**: أي الثابت في حضرة العلم، وهي الأعيان الثابتة كلها، **(والآخر)** وهو الموجود بالوجود العيني، وهي الصور الأعيان الثابتة، وإنما كان نبينا ﷺ كذلك لأنه كتابٌ حمليٌّ وأمٌّ جامعٌ لجميع الكتب بعد تفصيلها، ولذا قال الأستاذ وارثه الأكمل قُدِّس سرُّه:

أنا القرآنُ والسبعُ المثاني وروحُ الروحِ لا روحَ الأواني

ولك أن تُفسر الأول والآخر بالاسمين الإلهيين، لكن أولية الحق أوليةٌ مطلقةٌ لا تقييدية، وآخريته مطلقةٌ أيضاً بمعنى رجوع الكل إليه.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 42].

(ومركز) هو النقطة المعتبرة في حاق الوسط بحيث تكون الخطوط الخارجة إلى المحيط متساوية، فالكلام تشبيهيٌّ.

(إحاطة الباطن والظاهر) المراد بالباطن عالم الغيب وبالظاهر عالم الشهادة، وفيه تشبيه الإحاطة بالدائرة من حيث الاستيعاب، ففي الكلام مكنيةٌ وتخييليةٌ، وإضافة إحاطة من إضافة المصدر إلى المفعول: يعني أن دائرته ﷺ الذي هو مركزها لتوقفها عليه؛ إذ لا يمكن أن تكون لغيره لكونه لا أوسع ولا أكمل في المجالي منه أحاطت بالعوالم الغيبية والشهادية، ولك أن تفسر الباطن والظاهر بالاسمين الإلهيين، ولا شك أن الاسم الظاهر

والاسم الباطن أحاط بالعوالم كلها الغيبية والشهادية، ونبينا ﷺ مركز هذه الإحاطة؛ إذ العوالم مطلقاً فروعه بل هو عينها حقيقةً، فهو محل مركز الإحاطة، فمركز بكسر الكاف اسم مكان.

قال المصنف:

[حبيبك الذي استجليت به جمال ذاتك على منصَّة تجليَّاتك، ونصَّبته قبلةً لتوجُّهاتك في جامع تجليَّاتك، وخلعت عليه خلعة الصفات والأسماء، وتوَّجته بتاج الخلافة العظمى، وأسريت بجسده يقظةً ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، وترقَّى إلى قاب قوسين أو أدنى، فانسرَّ فؤاده بشهودك حيث لا صباح ولا مساء: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11]، وقرَّ بصره بوجودك حيث لا خلأ ولا ملأ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: 17]].

قال الشارح: **(حبيبك)**: أي محبوبك.

اعلم أن المحبة أصل الوجود، وهي مقام نبينا محمد ﷺ الذي هو مبدأ العالم، فتفرعت من حقيقته ﷺ جميع الخلائق علوًّا وسفلاً، فأعطى الحق تعالى أصل جميع المقامات وهو مقام المحبة لأصل جميع الموجودات محمد ﷺ فكان هو ﷺ صورة الحب الإلهي.

ولذلك علَّق الحق تعالى المحبة الإلهية في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] باتباعه ﷺ.

(الذي استجليت): أي رأيت وأبصرت **(به جمال ذاتك)**.

اعلم أن الرؤية على ثلاثة أقسام: **أحدها**: الرؤية الذاتية وهي شهود الحق في كماله الذاتي وغناه الذاتي ذاته بذاته رؤية ذاتية غير زائدة على ذاته وشهود أسمائه وصفاته ونعوته وتجلياته في قبضة قهر الأحدية رؤية ذاتية أيضاً.

والرؤية الثانية: رؤية أسمائه، وهي التي وقعت بظهور الأسماء في

العوالم التي هي مظاهرها، فهذه الرؤية موقوفة على إظهار أعيان الأسماء المستهلكة في الأحدية عوالمها ومظاهرها.

والرؤية الثالثة: الرؤية الواقعة في الكون الجامع، وهي جامعةٌ للرؤيتين الذاتية والأسمائية، فخلق الحق تعالى جميع العوالم من العقل الأول إلى النوع الإنساني الكمالي الجمعي وكل شيء من العوالم مظهراً لاسم خاص من الأسماء الإلهية، ومجلى الصفة من الصفات الجزئية أو الكليَّة، فظهر الحق في كل شيء بحسب استعداد ذلك الشيء وقابليته، ولم يظهر بصورته الجمعية الإلهية، فما حصل الظهور الكلي بالصورة الإلهية الأسمائية في شيء أعيان الموجودات العلوية وأشخاص المخلوقات السفلية لعدم قابليته لها، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: 72]، فخلق للظهور الكلي الأحدي الجمعي الكون الجامع، فأظهر فيه أعيان جميع أسمائه الحسنى، وظهر بالظهور الكلي الأحدي الجمعي، والتفصيلي فيه، فرأى جمال ذاته تعالى فيه كما قال الأستاذ قدس سره في فصوص الحكم: لما شاء الحق حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت **قلت**: أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، إلى آخر ما قال قدس سره، وآدم الحقيقي نبينا محمد ﷺ فهو أظهر المظاهر وفوقها.

(على منصة) بكسر الميم الكرسي الذي تجلس عليه العروس عند جلالتها.

(تجلياتك): أي ظهوراتك بالعوالم، والإضافة من قبيل لجين الماء؛ لأن الكرسي من شأنه الإظهار، كالتجليات والارتفاع.

(وَنَصَبَه) ﷺ، **(قبلة)** سميت القبلة قبلة؛ لأن المصلي يقابلها بالتوجه إليها، **(لتوجهاتك)** بإظهار أسمائك وصفاتك.

(في جامع تجلياتك): أي ظهوراتك في الأشياء والإضافة من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، وإنما كان ﷺ قبلة للتوجهات؛ لأنه الواسطة الأصلية، وأصل ما سوى الله تعالى، فالتوجه به ﷺ يكون للأشياء، والتوجه له أصالة لسرايته في كل شيءٍ ﷺ وشرف وكرم.

(وخلعت) من قولهم خلع عليه خلعة، عليه ﷺ **(خِلعة)** بكسر الخاء ما يخلع على الإنسان وخيار المال.

وتضم **(الصفات)**: أي صفاتك، (والأسماء): أي أسمائك، فتخلق فتحقق بها ولم يدعها لنفسه ﷺ، بل ولم تخطر دعواها بباله ﷺ كيف وهو أكمل الكل، والبعد الصرف، والإضافة من قبيل لجين الماء.

واعلم أن الصفات الإلهية إما إيجابية، وإما سلبية، والصفات الإيجابية إما حقيقة، وهي التي لا إضافة فيها كالحياة والوجوب، وإما إضافية محضة كالأوليَّة والأخرويَّة.

وإما ذات إضافة كالعلم والإرادة، والصفات السلبية: كالغني والقدوسية، والسبوحية، وأيضاً الصفات الإلهية تنقسم إلى قسمين: صفات كلية إحاطية تامة جامعة كالصفات المسماة بالأئمة السبعة، وهي الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر والكلام.

والقسم الثاني صفات جزئية كالخالقية والرازقية، وذكر المؤلف الأستاذ قدس سره الأسماء الإلهية في كتاب: «إنشاء الدوائر» وقسَّمها على ثلاثة أقسام، فقال:

أسماء الذات: الله، الرب، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، العلي، العظيم، الكبير، الجليل، المجيد، الحق، المبين، الواحد، الماجد، الصمد، الظاهر، الباطن الأول، الآخر، المتعالي، الغني، النور، الوارث، ذو الجلال الرقيب.

أسماء الصفات: الحي، الشكور، القهار، القاهر، المقتدر، القوي،

القادر، الكريم، الرحمن، الغفار، الرحيم، الغفور، الودود، الرؤوف، الحليم، البر، الصبور، العليم، الخبير، المحصي، الحكيم، السميع، البصير.

أسماء الأفعال: الوكيل، الباعث، المجيب، الواسع، الحسيب، المغيث، المقيت، الحفيظ الخالق، البارىء، المصوِّر، الوهَّاب، الرزَّاق، القابض، الباسط، الخافض، الرَّافع، المعزُّ، المذلُّ، الحكم، العدل، اللطيف، المعيد، المحيي، المميت، الوالي، التوَّاب، المنتقم، المقسط، الجامع، المغني، المانع، الضَّار، النَّافع، الهادي، البديع، الرَّشيد.

هذا واعلم أن جميع الأسماء أسماء الله تعالى باعتبار دلالتها عليه، وكل اسم يدل على الذات باعتبار صفة لا يدل دلالة مطابقة، إلا نبيَّنا محمد ﷺ فإنه أعظم الأسماء، ودلالته على الحق تعالى دلالة مطابقة؛ لأن دلالته على الحق تعالى دلالة جمعية الأسماء والصفات لكونه ﷺ خلع عليه جميع الأسماء والصفات، فهو في مظهريتها، بل دلالته على الحق تعالى دلالة ذاتية دلالة الحق على نفسه لكونها مظهراً تاماً لذات الألوهية هذا.

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي قُدِّس سرُّه في «الإنسان الكامل»: إذا تجلت ذات الحق سبحانه وتعالى على عبد بصفة من صفاتها سبَح العبد في فلك تلك الصفة إلى أن يبلغ حدَّها بطريق الإجمال لا بطريق التفصيل؛ لأن الصفاتيين لا تفصيل لهم إلا من حيث الإجمال، فإذا سبَّح العبد في فلك صفة واستكملها بحكم الإجمال استوى على عرش تلك الصفة، فكان موصوفاً بها، فحينئذٍ تتلقاه صفة أخرى، فلا يزال كذلك حتى يستكمل الصفات جميعها.

يا أخي لا يشكل عليك هذا، فإن العبد إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يتجلَّى عليه ولو باسم أو صفة، فإنه يفني العبد فناءاً يعدمه عن نفسه، ويسلبه وجوده، فإذا طمس النور العبدي، وفني الروح الخلقي، أقام الحق

سبحانه وتعالى في الهيكل العبدي من غير حلول في ذاته لطيفة غير منفصلة منه ولا متصلة بالعبد، عوضاً عما سلبه منه لا تجليه على عباده من باب الفضل والجود، فلو أفناهم، ولم يجعل لهم شيئاً عوضاً عنهم لكان ذلك.

وتلك اللطيفة هي المسماة بروح القدس، فإذا أقام الحق لطيفة من ذاته عوضاً عن العبد كان التجلي على تلك اللطيفة، فما تجلى إلا على نفسه لكنا نسمي تلك اللطيفة الإلهية عبداً باعتبار أنها عوض عن العبد، وإلا فلا عبد ولا رب إذ بانتفاء المربوب انتفاء اسم الرب، فما ثم إلا الله الواحد الأحد.

وقال في موضع آخر منه: اعلم أن الذاتيين عبارة عمن كانت اللطيفة الإلهية فيهم ذاتية، والصفاتيين عبارة عمن كانت اللطيفة الإلهية فيهم صفاتية، فإذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الإنساني هو الفرد الكامل، والغوث الجامع، عليه يدور الوجود وله يكون الركوع والسجود، وبه يحفظ العالم، وهو المعبر عنه بالمهدي، والخاتم، والخلفية، هذا ولا شك أن نبيَّنا ﷺ أصل الذاتيين وهم ورثته كما صرَّح به أهل الكشف قاطبة، إذا عرفت هذا فنزل كلام الأستاذ قدس سره على ما بيناه.

(وتوَّجتهُ ﷺ): أي ألبستهُ التاج، وجعلته له ﷺ، والتاج ما يُلبس على الرأس للزينة، وهو للعجم كالعمامة للعرب، وجمعه: تيجان، ويقال تُوِّج إذا سوِّد: أي جُعل سيِّداً على قوم، والمعنى على هذا جعلته ﷺ سيِّداً على كل المخلوقات.

قال ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**[1].

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر أخبار سيد المرسلين، حديث رقم (4189) [2/ 660]، ورواه ابن ماجه في السنن، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (4308) [2/ 1440] ورواه غيرهما.

(بتاج الخلافة) الإضافة من قبيل لجين الماء، ويجوز أن يكون لفظ التاج استعارة مصرِّحة عن السيادة، والخلافة هي التصرف في العالم من جهة النيابة عن الله تعالى، والإمامة اسم من أسماء الخلافة، وهي بالنسبة إلى الخلافة كالولاية بالنسبة إلى النبوة، فكل خليفة إمام، وليس كل إمام خليفة؛ لأنه قد يكون الإمام خليفة وقد لا يكون فتكون الخلافة اسماً خاصاً لمرتبة التحكم والتصرف في العالم من جهة النيابة عن الله تعالى، والإمامة اسماً عاماً يشتمل الخلافة وغيرها، وإن كان العُرف يجعلهما متحدتين، وتصرف نبينا ﷺ بالأمر بل الحق تعالى يتصرف به، ويفعل به فهذا من كمال العبودية.

وقيد الخلافة بقوله: **(العظمى)** للإشارة إلى ما قلنا بخلاف خلافة غيره الوارثية، فإن الخلفاء بالوراثة قد يتصرفون بالعرض، أو لأن كل أحدٍ خليفة على نفسه، أو على جماعة لكنها خلافة صغرى، أو صفة كاشفة؛ لأن الخلافة عن العظيم عظيمة.

(وأسريت) الخطاب للحق تعالى **(بجسده)** الشريف **(يقظة)** يقظ يقظاً من باب تعب ويقظة بفتح القاف، **(من المسجد الحرام)** بعينه لما روي أنه ﷺ قال: «**بينما أنا في المسجد أو الحِجر عند البيت بين النائم واليقظان؛ إذ أتاني جبريل بالبراق**»[1]، أو من الحرم، وسماه المسجد الحرام؛ لأنه محيط به.

لما روي: أنه كان نائماً في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء، فأُسري به، ورجع من ليلته ﷺ **(إلى المسجد الأقصى)** مسجد بيت المقدس، وكان أقصى؛ لأنه لم يكن وراءه مسجد الإشارة المسجد الحرام مقام القلب المحرم عن أن يطوف به مشركو القوى البدنية كالحواس الظاهرة،

---

(1) روى نحوه البخاري في صحيحه، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (3035) [3/ 1173] وروى نحوه مسلم في صحيحه، باب الإسراء برسول الله ﷺ، حديث رقم (164) [1/ 149] وروى نحوه غيرهما.

والجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة، والمولدة، وأن يحجبه العرى عن الفضيلة كالقوى الحيوانية وهي: الوهم، والخيال، والشهوة، والغضب، ونحوها، والمسجد الأقصى هو مقام الروح الأبعد عن العالم الجسماني بشهود تجليات الذات، وسبحات الوجه.

(حتى انتهى): أي فضِّل بجسده الشريف.

(إلى سدرة المنتهى) التي إليها ينتهي علم الخلائق وأعمالهم، وروي مرفوعاً أنها في السماء السابعة، هذا باللسان الظاهري فهي بلسان الإشارة نهاية المكان التي يبلغها المخلوق في سيره إلى الله تعالى، ولا يمكن لمخلوق البلوغ إلى ما بعد السدرة؛ لأن المخلوق هناك مسحوق ممحوق ومدموس مطموس بالعدم المحض، لا وجود له فيما بعد السدرة، وإلى ذلك الإشارة بقول جبريل عليه السلام: لو تقدمت قدر شبر لاحترقت من النور[1]، (ولو) حرف امتناع فالتقدم ممتنع إلى منزلة:

(قاب قوسين أو أدنى) اعلم أن قاب قوسين مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي المسمى دائرة الوجود كالإبداء والإعادة والنزول، والفاعليَّة، والقابليَّة، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التمييز والإثنينية، المعبر عنه بالاتصال، ولا أعلى من هذا المقام إلا مقام أو أدنى لارتفاع الإثنينية، الاعتبار به والتمييز هناك بالفناء المحض، والطمس الكلي للرسوم كلها تنبيه في تفسير الآية، ثم دنا: أي النبي ﷺ من الله تعالى وترقى عن مقام جبريل بالفناء في الوحدة، والترقي عن مقام الروح.

وفي هذا المقام قال جبريل عليه السلام: **«لو دنوت أنملةً لاحترقت»**[2] إذ وراء مقامه ليس إلا الفناء في الذات، والاحتراق بسبحات الجمال لا سبحات الجلال؛ لأن سبحات الجلال هي أنوار

(1) (2) أورده الفخر الرازي في التفسير الكبير، سورة البقرة آية 34 وإذ قلنا للملائكة، [2/214].

تجليات الصفات، وسبحات الجمال هي أنوار تجليات الذات، والاحتراق بالجمال، فتدلى: أي مال إلى الجهة الإنسيَّة بالرجوع من الحق إلى الخلق حال البقاء بعد الفناء، والوجوب الموهب الحقاني، فكان قاب قوسين: أي كان ﷺ مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل المنقسمة بخط موهوم إلى قوسين، باعتبار الحق والخلق، والاعتبار هو الخط الموهوم القاسم للدائرة إلى نصفين، فباعتبار البداية والتداني يكون الخلق هو القوس الأول الحاجب للهوية في أعيان المخلوقات وصورها، والحق تعالى هو النصف الأخير، وباعتبار النهاية والتدلي، فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلاً وأبداً، والخلق هو القوس الأخير الذي يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد الذي وهب له.

وهذا ما دامت الإثنينية أو أدنى من مقدار القوسين بارتفاع الإثنينية الفاصلة الموهومة لاتصال أحد القوسين بالآخر، وتحقق الوحدة الحقية في عين الكثرة بحيث تضمحل الكثرة فيها وتبقى الدائرة غير منقسمة بالحقيقة، وهذا نهاية الولاية.

فما أكمل نبيَّنا محمد ﷺ وما أسعدنا به ﷺ، فلله الحمد والمنَّة على هذا النبي الكريم الذي شرف الأكوان ﷺ.

لائحة سدرة المنتهى شهود الخلائق الكونية، وقاب قوسين شهود **(الرقائق الأسمائية)** أو أدنى شهود الذات، ورؤيتها شهود لا أكمل منه.

(فأسر) فعل ماض مبني للمفعول: أي جعل ﷺ **(فؤاده)**: أي قلبه مسروراً، وجعل شيخنا الشيخ عبد الغني قدِّس سرُّه فعل دعاء، والخطاب للحق **(بشهودك)** الشهود رؤية القلب، والرؤية للبصر، وكان شهود القلب له ﷺ دائميًّا لكن بعد الترقي إلى أو أدنى كمل كمالاً على كمال، إذ الكمال يتقبل الكمال.

(حيث لا صباح ولا مساء)؛ لأنهما من الأكوان، وهو ﷺ قد ترقَّى

عن نهاية الأكوان التي هي سدرة المنتهى، والصباح إشارة إلى عالم الأرواح، والمساء إلى عالم الأجسام، والجسمانيات ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ [النجم: 11] أي قلبه ﷺ.

﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11]: أي ما رآه بقلبه، أو رؤيته ﷺ فما موصولة أو مصدرية، وسُئل ﷺ: «**هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت بفؤادي**»، وعروجه ﷺ متكرر، ففي البعض رأي بالقلب وفي البعض رأي بالبصر، وبه يحصل التوفيق، أو أنه ﷺ في هذا الترقي حصل له الشهود القلبي والرؤية البصرية، والآية المستشهد بها جامعة لكليهما فيكون معناها حينئذٍ ما كذب فؤاده ما رآه ببصره، ولأن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم بالبصر لكن الاستشهاد باعتبار الشق الأول، أو يراد بالشهود مطلق الرؤية سواء كانت قلبية أو بصرية فذكر قرة العين حينئذٍ لبيان الثمرة لسان الإشارة ما كذب الفؤاد ما رأى في مقام الجمع، والفؤاد هو القلب المترقي إلى مقام الروح في الشهود المشاهد للذات مع جميع الصفات الموجودات بالوجود الحقاني، وهذا الجمع هو جمع الوجود لا جمع الوحدة الذي لا فؤاد فيه ولا عبد لفناء الكل فيها المسمَّى باصطلاحهم: عين جمع الذات، وأما هذا الجمع فيسمَّى الوجه الباقي: أي الذات الموجودة مع جميع الصفات.

(وقرَّ) فعل ماض مبني للمفعول، وجعلناه كما مرَّ كما جعله شيخنا قدس سره كما مرَّ.

(بصره) الأنور ﷺ برؤية وجودك، والمعنى جعله الله تعالى قرير العين، والبصر برؤيته تعالى، والعبد إنما يكون قرير العين إذا شاهد عين حبيبه لقرار عينه بوجه الحق ومشاهدته، فلا يشاهد شيئاً سواه بل يفنى في هذا الشهود عن كل شيء، وعن نفسه سوى الحق، فتقرُّ عينه، وتثبت.

يقال: قرير بكسر القاف إذا ثبت، ويقال: قرير بفتح القاف إذا ابتهج برؤية ما يسره فيكون قرير العين بمعنى: المسرور؛ لأن سرور كل مسرور

برؤية محبوبه، ففي التعبير حينئذٍ تفنن، وتكثير للمعنى.

(حيث لا خلأ) هو الفضاء الموهوم عند المتكلمين: أي الفضاء الذي يشبه الوهم ويدركه من الجسم المحيط بجسم آخر كالفضاء المشغول بالماء والهواء في داخل الكون، وهذا الفراغ الموهوم هو الشيء الذي من شأنه أن يحصل فيه الجسم، وأن يكون ظرفاً له عندهم، وبهذا الاعتبار يجعلونه حيزاً للجسم، وباعتبار فراغه عن شغل الجسم يجعلونه خلاءاً، فالخلاء عندهم الفراغ مع قيد أن لا يشغله شاغل من الأجسام فيكون لا شيئاً محضاً، والمتكلمون ذاهبون إلى إمكان الخلاء، والحكماء ذاهبون إلى امتناعه، وعند أفلاطون هو البعد المفطور[1] فيكون من الموجودات المجردة.

(ولا ملأ) سواء كان متشابهاً وهو الأفلاك، والعناصر فإنهما ملأ متشابه لكون أجزائهما متفقة الطباع، أو غير متشابهة وهو ما اختلفت طباع أجزائه، وإنما نفي الخلاء والملأ مطلقاً لما مرَّ.

﴿مَا زَاغَ﴾ مال ﴿ٱلْبَصَرُ﴾: أي بصره ﷺ بالالتفات إلى الغير ورؤيته: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: 17] تجاوز، بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستيقناً، أو ما طغى بالنظر إلى نفسه، ولا احتجابه بالأنانية.

قال المصنف: **[صلِّ اللَّهُمَّ عليه صلاةً يصل بها فرعي إلى أصلي**

(1) الخلاء هو البعد المفطور عند أفلاطون والفضاء الموهوم عند المتكلمين أي الفضاء الذي يثبته الوهم ويدركه من الجسم المحيط بجسم آخر كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء في داخل الكوز فهذا الفراغ الموهوم هو الذي من شأنه أن يحصل فيه الجسم وأن يكون ظرفاً له عندهم وبهذا الاعتبار يجعلونه حيزاً للجسم وباعتبار فراغه عن شغل الجسم إياه يجعلونه خلاء فالخلاء عندهم هو هذا الفراغ مع قيد ألا يشغله شاغل من الأجسام فيكون لا شيئاً محضاً لأن الفراغ الموهوم ليس بموجود في الخارج بل هو أمر موهوم عندهم إذ لو وجد لكان بعداً مفطوراً وهم لا يقولون به والحكماء ذاهبون إلى امتناع الخلاء والمتكلمون إلى إمكانه وما وراء المحدد ليس ببعد لا لانتهاء الأبعاد بالمحدد، ولا قابل للزيادة والنقصان لأنه لا شيء محض فلا يكون خلاء بأحد المعنيين بل الخلاء إنما يلزم من وجود الحاوي مع عدم المحوي وذا غير ممكن (التعريفات للجرجاني [1/ 135]).

وبعضي إلى كلي: لتتحد ذاتي بذاته وصفاتي بصفاته، وتقرُّ العين بالعين، ويفرُّ البين من البين].

قال الشارح: **(صلِّ)** دعاء، **(اللَّهُمَّ)**: أي يا الله، **(عليه)**: أي على النبي ﷺ، اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ قد تكون من الله المتعين في مرتبة الألوهية الجامعة لجميع الأسماء الإلهية؛ لأن هذه المرتبة جامعة جميع الأسماء الإلهية التي هي خزائن الجود والكرم، وجميع الأسماء فيها لا تظهر أحكامها وآثارها إلا بالمظهر المحمدي، فهو ﷺ أول من ظهرت به الأحكام وآثارها، فهذه المرتبة تصلي عليه باعتبار تعينها وتحققها به، وقد تكون الصلاة عليه ﷺ من الله المتجلِّي، والمستوي على عرش قلبه ﷺ، لأن قلبه القابل الواسع بحسب حيطته وجمعيَّته مظهر كامل، ومجلى شامل لحضرة الألوهية، والجمعية الذاتية الأحدية، فيصلي عليه، ويتجلى له على حسب سعة قلبه وإطلاقه وصفاء باطنه، والمراد هنا طلب استمرار التجلي الذاتي، وتتابع تجلياته الأسمائية في حضرة الألوهية على مقتضى حقيقته الكليَّة، وقابليته الجمعية الذاتية على كلا الوجهين.

(صلاة) أكمل منها إذ التنوين للتعظيم، **(يصل بها)** ببركتها وخيرها العام.

(فرعي) الذي هو جملتي من الروح، والنفس، والجسد وما يتبعها من القوى الروحانية والبرزخية، والبدنية.

(إلى أصلي) الذي هو حقيقة محمد ﷺ.

(ويصل) ببركتها أيضاً، **(بعضي)**: أي كل بعض مني، فالإضافة استغراقية، والأول مجموعي، والثاني إفرادي.

(إلى كلي) الذي هو النور المحمدي وهو حقيقته ﷺ.

(لتتحد ذاتي) محل الصفات **(بذاته)** ﷺ، والمراد بالاتحاد إسقاط الإضافة عن نظره، أو فناء تعيُّنه الذاتي في ذاته ﷺ فيكون باطنه محمداً ﷺ

كما يدل عليه قصة الشبلي مع تلميذه، وتتحد **(صفاتي)** مطلقاً، **(بصفاته)** ﷺ **(وتقر)**: أي تستقر عن الاضطراب، أو تبتهج.

(العين): أي بصري بالمشاهدة، **(بالعين)**: أي ذاته ﷺ، وفنائي فيها، أو المعنى، ولتسكن ذاتي، وتثبت عن التعين الموهوم بذاته ﷺ.

(ويفر): أي يذهب بسرعة، **(البين)** البعد الوهمي، والمغاير الاعتبارية الوهمية.

(من البين): أي من بيني وبينه ﷺ.

قال المصنف:

[وسلّم عليه سلاماً أسلم به في متابعته من التخلُّف، وأسلم في طريق شريعته من التعسُّف: لأفتح باب محبتك إياي بمفتاح متابعته، وأشهدك في حواسي وأعضائي من مشكاة شرعه وطاعته، وأدخل وراءه إلى حصن لا إله إلا الله، وفي أثره على خلوة: «لِي وقتٌ مع الله»[1]؛ إذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه سددت عليه الطرق والأبواب، ورُدَّ بعصا الأدب إلى إسطبل الدواب].

قال الشارح: **(وسلم)** فعل دعاء عطف على صل، من التسليم وهو استدعاء السلام له ﷺ من الله، وهو تجلٍ مخصوص من حضرة الاسم السلام فيسلم الله إليه حقائق الكمال، ويعطيه السلامة عن سطوات تجليَّات الجلال، ويهبه السلامة عن الانحرافات، فيظهر بصورة الخلافة، والإمامة، والشفاعة الكلية، والإمداد الجمعي، ويعطيه لواء حمد الحمد، ومجامع المحامد الإلهية الكمالية، والتحقق بحقائق المرتبة الاعتدالية.

(عليه) ﷺ، **(سلاماً)** عظيم إذ التنوين للتعظيم.

(أسلم به): أي ببركته، **(في)** سلوك طريق، **(متابعته)**: أي الاقتداء به

---

(1) أورده المناوي في فيض القدير، حرف الراء، [4/ 6] والعجلوني في كشف الخفاء برقم (2159) [2/ 226].

ﷺ في القال، والفعل، والحال.

(من التخلف): أي القعود، يقال تخلَّف عن القوم إذا قعد ولم يذهب معهم، والمراد أنه قُدِّس سرُّه يسلم ببركة هذا السلام عن الوقوف في السير إلى الله تعالى، أو السير فيه تعالى.

والثاني: هو مراد الشيخ قُدِّس سرُّه لكن عممنا نظراً إلى نيَّة القارىء.

و**(في)** سلوك. (طريق شريعته) أحكامها الأصلية والفرعية، لكن الأصلية لا على طبق ما يفهمه النظَّار أهل الحجاب، بل على طِبق من الله جلَّ وعلا، ورسوله ﷺ المطابق لما هو الواقع.

(من التعسُّف) السلوك على غير الجادة.

(لأفتح) تعليل لأسلم.

(باب محبتك) يا الله، والإضافة من قبيل لجين الماء، وذكر الافتتاح ترشيح للتشبيه، أو في الكلام استعارة بالكناية[1] بأن تشبيه المحبَّة الإلهية لما فيها من الثمرات المنجية، والمرقية بخزانة مملوءة بالجواهر، والنفائس، وإثبات الباب للمحبة استعارة تخييلية[1].

وذكر الافتتاح ترشيح إيَّاي بحيث تحبني، ومقام المحبة أعلى المقامات والأحوال؛ لأن الحب الإلهي سار في جميع المقامات لأن ظهور الأشياء بالحب الإلهي الذي أشار إليه تعالى في قوله ﷺ: **«كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف»**[2].

---

(1) الاستعارة التخييلية إثبات الأمر المختص بالمشبه للمشبه به عند حذف المشبه به أي في الاستعارة بالكناية وإنما سمي هذا الإثبات بالاستعارة التخييلية لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر المختص بالمشبه به فذلك الإثبات استعارة أمر من المشبه به للمشبه وموجب لتخييل التشبيه المضمر في النفس كإثبات إنشاب الأظفار للمنية في المثال المذكور فتشبيه المنية بالسبع في الإهلاك بغتة استعارة بالكناية وإثبات إنشاب الأظفار لها استعارة تخييلية واعلم أن الاستعارة بالكناية والمصرحة والتخييلية أمور معنوية غير داخلة في المجاز الذي هو من أقسام اللفظ.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

فكل مقام، وحالٍ وقع قبل المحبة فهو أريد للمحبة، وكل مقام وحال وقع بعد المحبةً فهو مستفادٌ من المحبة، وهي مقام محمد ﷺ.

ولذا طلب شيخنا قُدِّس سرُّه افتتاح بابها بمفتاح متابعته ﷺ في القول، والفعل، والحال ليرثه ﷺ في هذا المقام.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

(وأشهدك) عطف على افتتح، والشهود رؤية الحق في الأشياء ويكون أيضاً حقيقة اليقين، وهي تتلو المكاشفة، وقيل: بالعكس.

(في) جميع، **(حواسي)** الظاهرة، والباطنة، ولا يقال إن الحواس الباطنة وهي الحس المشترك، والخيال، والفكر، والمفكرة، والواهمة والحافظة لم تثبت عند أهل السُّنَّة بل عند الحكماء، لأنا نقول: لم تثبت عندنا بناءً على أصلهم من أن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، وأما بناءً على أنه إذا ألفَ المواضع زالت عنه تلك القوة، فثابتة عندنا، وجميع **(أعضائي)** وما يتعلَّق به.

والمعنى لأشهدك ظاهراً في كلي بحيث أفنى في الذات، والصفة، والفعل، وأكون من الذاتيين، والمراد طلب الاستمرار، وإلا فشيخنا قُدِّس سرُّه حين تأليف الرسالة كان من الذاتيين؛ لأن كل إناء بالذي فيه ينضح.

(من مشكاة) هي الكوَّة الغير النافذة.

(شرعه): أي شريعته، وهي الائتمار بالتزام العبودية، والإضافة من قبيل لجين الماء، والمعنى لأشهدك في كلِّي من مقام التزام العبودية المحضة التي لا نفوذ لها إلى الظهور بالربوبيَّة، وهي التي كان عليها نبيُّنا ﷺ؛ لأنه خُلق عبداً بالأصالة، لم يرفع رأسه قط إلى السيادة بظهور الأسماء الوجودية الفعالة، بل لم يزل ساجداً في الحضرة الألوهية، واقفاً عند باب الربوبية مع كونه منفعلاً عن الربوبيَّة الكبرى بالعبوديَّة المحققة حتى كوَّن الله تعالى عنه ما كوَّن.

ولذا أُعطى ﷺ رتبة الفاعلية في عالم الأنفاس، ومما قررناه يظهر وجه الشبه.

(وطاعته) ﷺ وهي موافقة الأمر.

(وأدخل) عطف على أشهدك فهو منصوب.

(إلى وراء): أي خلف.

(حصن) هو المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه.

(لا إله إلا الله)، والإضافة من قبيل لجين الماء، ووجه الشبه ظاهر، ولفظ: (وراء) ترشيح للتشبيه، وفيه إشارة إلى قوله ﷺ في الحديث القدسي: «**لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي**»[1].

(وأدخل في إثره) بفتحتين، وبكسر الهمزة والسكون إذا دخل بعده.

قال في القاموس، وخرج في إثره وأثره بعده، والمراد: داخل بطريق الوراثة والتبعيَّة.

(إلى خلوة)هي محادثة السِّر مع الحق حيث لا مَلَك ولا أحد.

وأما **(الجلوة)** بالجيم فهو خروج العبد من الخلق بنعوت الحق، فيحرق ما أدركه بصره، وللمناسبة التي أشرنا إليها أضاف قُدِّس سرُّه خلوة إلى قوله ﷺ: «**لي وقت**»[2] هو هنا عبارة عن الحال الذي يقتضيه الاستعداد الغير المجعول، ويطلق في اصطلاح الصوفية أيضاً على ما يُردُّ على العبد، ويتصرَّف فيه، ويمضيه بحكمة من خوف أو حزن، ولذلك قيل: الوقت سيف؛ لأنه يقطع الأمر بحكمة، ويقال: فلان يحكم الوقت.

وقد يُراد بالوقت: ما حصل من الزمان المسمَّى بالحال، يقال: فلان مشتغل بوظيفة الوقت: أي يعمل في كل حالٍ ما لا يسوغ فيه إلا ذاك، وفيه

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب برقم (8101) [5/ 251] وأورده المناوي في الإتحاف السنية، برقم (166) [1/ 73].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

قيل من أهمل وظيفة الوقت، فوقته مقت.

(مع الله) معيَّة خاصة ليست في الاستعداد غيري.

وتتمة الحديث: «**لا يسعني فيه ملك مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسل**»[1]، فدخل المهيمون من الملائكة أيضاً.

ولا يَرد ما قال شيخنا المؤلف في الباب الثامن والتسعين والمائة من «الفتوحات»:

إنما كنت أذهب إلى تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على خواص البشر؛ لأن رسول الله ﷺ أعطاني الدليل على ذلك في واقعة وقعت لي، وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب في هذه المسألة إلى مذهب جملة واحدة؛ لأن الشيخ عبد الكريم الجيلي قُدِّس سرُّه قال: إن الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة.. انتهى.

وصرَّح قُدِّس سرُّه في الباب الثمانين وثلاثمائة من «الفتوحات المكيَّة»: أن نبيَّنا ﷺ أفضل من الملائكة، ومن سائر الرسل، وسكت عمَّن عداه.

وقال في هذا الباب من النظم الفائق قوله:

وَلَيسَ يُدْرِك مَا قُلْنَا سِوَى رَجل ... قَدْ جَاوَزَ المَلأ العُلْوِي وَالرسْلاَ
وَهَامَ فِيمَنْ يَظن الخلق أجمعه ... تحْصِيله ونهى عن نَفْسِهِ وسَلاَ
ذَاكَ النَبي رَسُول الله أحمدنَا ... ربُّ الوَسِيلةِ في أَوْصَافِهِ كَمُلاَ

فاحفظه ولا يخفي عليك أنه لا يلزم من دخول شيخنا المؤلف قُدِّس سرُّه بطريق الوراثة والتبعيَّة خلوة «**لي وقت مع الله**» تفضيله على الرسل حتى لا يجوز طلبه كما يفهمه أهل الحجاب.

قال قُدِّس سرُّه في الباب السادس والثلاثين من «الفتوحات المكيَّة»:

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

وليس للعيسويين من هذه الأمة المشي في الهواء لكن لهم المشي على الماء، والمحمدي يمشي في الهوى بحكم التبعيَّة.

فإن النبي ﷺ قال في عيسى عليه السلام: «**لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء**»[1]، ولا شك أن عيسى عليه الصلاة والسلام أقوى يقيناً منَّا بما لا يتقارب، فإنه من أولي العزم من الرسل، ونحن نمشي في الهوى بلا شك، وقد رأينا خلقاً كثيراً ممن يمشي في الهوى في حال مشيهم في الهوى فعلمناه قطعاً، إن مشينا في الهوى إنما هو بحكم صدق التبعيَّة بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام، فمشينا بحكم التبعيَّة لمحمد ﷺ لا من قوة اليقين، ولم نفضل به عيسى عليه السلام حاشا لله أن نقول بهذا.

كما أن أتباع عيسى عليه السلام يمشون على الماء بحكم التبعيَّة لا لمساواة يقينهم يقين عيسى عليه السلام كما مثلناه في كتاب «اليقين» لنا: إن المماليك الخوَّاص الذين يمسكون نعال أستاذيهم من الأمراء إذا دخلوا على السلطان، وبقي بعض الأمراء خارج الباب حين لم يؤذن لهم في الدخول، أترى المماليك الدَّاخلين مع أستاذيهم أرفع منصباً من الأمراء الذين ما أُذن لهم، فهل دخلوا إلا بحكم التبعيَّة لأستاذيهم هذا.

(إذ) تعليل لما تقدم، **(هو)** ﷺ، **(بابك)** المفتوح الذي به يتوصَّل إليك من أول الإيجاد إلى الأبد، وأنت باب الله: أي امرؤٍ أتاه من غيرك لا يدخل.

(الذي مَنْ لم يَقْصِدك) بكسر الصاد: أي بالدخول إلى حضرتك.

(منه): أي من ذلك الباب ﷺ، **(سدت)** مبني للمفعول، والحذف للعلم، والتعظيم: أي سددت.

(عليه) كل **(الطرق)** جمع طريق: أي سدَّدت عليه جميع المراسم

---

(1) أورده الغزالي في الإحياء، كتاب الصبر والشكر، [4/ 72]. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في فضل الأمانة [3/ 170].

الإلهية التي بالسلوك عليها يحصل الوصول إليك، **(و)** كل، **(الأبواب)** الكليَّة والجزئية، وهم الورثة والنوَّاب ومن دونهم، **(ويرد)** بالبناء للمفعول عطف على سدت، **(بعصا)** متعلِّق بيرد.

(الأدب) الإضافة من قبيل إضافة السبب إلى المسبب، ولجين الماء **(إلى إصطبل الدواب)** جمع دابة، وفي الكلام استعارة تمثيليَّة ولك إجراء المكنية في المفرد لكن الأول إشارة فرسان البلاغة، والمراد أن غير المتبع إن كان كافراً فلو فُرض أنه تعبَّد، وارتاض، وقاسى الشدائد.

فالحق سبحانه وتعالى تجلَّى عليه بما يوجب الرجوع إلى النفس الحيوانيَّة، والشهوات البهيمية، بل إلى جهنم وبئس المصير، وإن كان مبتدعاً لم يكفر ببدعته، فكلما همَّ بالقيام إلى الله تعالى، ردَّه الله تعالى إلى نفسه الجسمانية، وقطع عنه العناية والتوفيق، ووكَّله إلى الأوهام.

قال المصنف:

[اللَّهُمَّ يا ربِّ، يا من ليس حجابه إلاّ النور، ولا خفاؤه إلا شدة الظهور، أسألك بك في مرتبة إطلاقك عن كل تقييدٍ التي تفعل فيها ما تشاء وتريد، وبكشفك عن ذاتك بالعلم النوريِّ، وتحولك في صور أسمائك وصفاتك بالوجود الصوري، أن تصلي على سيِّدنا محمَّد صلاةً تكحل بها بصيرتي بالنور المرشوش في الأزل؛ لأشهد فناء ما لم يكن وبقاء ما لم يزل، وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومةً مفقودةً، وكونها لم تشم رائحةً لوجودٍ فضلاً عن كونها موجودةً].

قال الشارح: **(اللَّهُمَّ)** يا الله.

(يا رب): أي يا مَنْ هو مبلِّغ كل شيء كماله الممكن له على سبيل التدرُّج.

(يا مَنْ ليس حجابه عن خلقه إلا النور) النور هو الذي يظهر بذاته، وتظهر الأشياء به وهو اسم من أسمائه تعالى.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النور: 35]، والاسم عين المسمَّى إلا اسم الاسم فإنه لفظ حجابه تعالى النور الذي هو عينه.

(ولا خفاؤه) عن جميع الأبصار، والبصائر.

(إلا شدة الظهور) كما قيل:

خَفِي لإفراط الظهور تعرَّضت ... لإدراكه أبصَار قومٍ أَخافشِ
وَحظَّ عيون الخلقِ مِنْ نُورِ وجهِهِ ... لشدتِه حَظَّ العيون العَوامِشِ

والكلام بالنظر إلى ذي العقل الذي يرى الخلق ظاهراً، والحق باطناً، فيكون الحق عنده مرآة الخلق مع احتجاب المرآة بالصور الظاهرة فيها لا بالنظر إلى ذي العين، وهو الذي يرى الحق ظاهراً، والخلق باطناً، فيكون الخلق عنده مرآة الحق؛ لظهور الحق عنده واختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصور: أي الكلام عمومي باعتبار عدم الإحاطة.

(أسألك): أي أطلب منك **(بك)** لا بأحدٍ سواك؛ إذ لا سواك في الحقيقة؛ إذ ليس في دار الوجود غيرك ديار.

(في مرتبة إطلاقك عن كل تقييد) حتى عن قيد الإطلاق، فالحق تعالى باعتبار الحضرة الإطلاقية منزَّه، وغني عن كل شيء محسوسٍ، ومعقولٍ، ومفهومٍ، ومظنونٍ.

وباعتبار الحضرة التقييديَّة ظاهر كل شيء محسوسٍ، ومعقولٍ، وموهومٍ، ومظنونٍ، والإطلاق عين التقييد؛ إذ لا سوى في البين، إذ العين هي العين **(التي)** صفة لمرتبةٍ.

(تفعل) يا ربنا بمقتضى إطلاقك.

(فيها): أي في مرتبة إطلاقك: أي بالنظر إليها، فلا يرد أن مرتبة الإطلاق تقتضي الغنى عن كل شيء حتى الأسماء والصفات، على أن الإطلاق إضافي، بل نقول: إن الإطلاق مرتبة الوجود لا بشرط لا.

(ما تشاء) من الأفعال، وما تريد إذ أنت الحاكم على كل شيء، والله

يحكم لا معقب لحكمه، بل الشيء هالك أزلاً وأبداً ما عدا وجهك فيه الذي هو الوجود الموجود ذلك الشيء به.

فالتقييد عدمي، والوجود باقٍ؛ إذ هو الحق تعالى ولا حلول ولا اتحاد.

والفرق بين المشيئة والإرادة: أن المشيئة تتعلق بالإيجاد لا غير؛ لأنها وردت في القرآن في كل ما وردت فيه لإيجاد المعلوم المعدوم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40] وإن كان المشهور عند المتكلمين أنهما بمعنى واحد، وفي العُرف الفقهي قد يميزون بينهما، فلو قال لامرأته: شئت طلاقك وقع؛ لإشعار المشيئة بالوجود، ولو قال: أردت طلاقك لم يقع؛ لعدم الإشعار بالوجود، بل بالطلب.

(وأسألك بكشفك) فيكون معطوفاً على بك.

(عن ذاتك) الأزلية المطلقة بالإطلاق الحقيقي.

(بالعلم النوري) المنسوب إلى النور الذي هو عين ذاتك، فالعلم عين الذات والصفات عند سادة الصوفية عين الذات، وقولهم: إنها نِسَب وإضافات.

كما قال شيخنا في «الفتوحات المكيَّة»: لا ينافي المشهور من العينية؛ لأن النسب والإضافات لا وجود لها في الخارج، وليس الوجود في الخارج إلا الوجود الحقيقي الواحد، فباعتبار ظهوره بالتأثير قدرة، وبالتخصيص إرادة وهكذا.

وأسألك **(بتحوُّلك)**: أي ظهورك، وتنزُّلك من حضرة إطلاقك إلى ظهورك.

(في صور) جمع صورة، وهي عينٌ ثابتة الاسم والصفة هنا: **(أسمائك وصفات)**.

كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه بإسناده عن عطاء بن زيد أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول مَنْ كان يعبد شيئاً فليتَّبعه، فيتَّبع مَنْ يعبد الشمس الشمس، ويتَّبع مَنْ يعبد القمر القمر، ويتَّبع مَنْ يعبد الطواغيت الطواغيت، ويبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله عزّ وجلّ في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتَّبعونه»[1] **وهذا بالنسبة لأهل الظنون.**

وكذا ورد في الحديث: **«أنا عند ظن عبدي بي»**[2]، وأمَّا أهل الإيقان والكشف فلا ينكرونه في تجلٍ، ويقرُّون به في آخر.

ولذا نصح شيخنا المؤلف قُدِّس سرُّه الإمام الرازي رحمه الله تعالى في رسالته التي أرسلها له فراجعها.

والتجلِّي في الصور لا يقتضي حلولاً، ولا اتحاداً، كيف ولا وجودين في البين لما تحقق من وحدة الوجود، والبدل من أهل الله تعالى يدبَّر له، ويتمثل بكذا صورة مع وحدة صورته الأصلية من غير حلولٍ، ولا اتحادٍ، فكيف الخالق القدير.

(بالوجود الصوري) الجار والمجرور متعلق بالتحول، والمراد بالوجود الصوري: الوجود المثالي كظهور العلم في عالم الخيال بصور

---

(1) صحيح البخاري، باب الصراط جسر جهنم، حديث رقم (6204) [5/ 2403] وصحيح مسلم، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (182) [1/ 163] وروى الحديث غير البخاري ومسلم.

(2) رواه البخاري في صحيحه في بابين أحدهما: باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ...﴾ حديث رقم (6970) [6/ 2694] ورواه مسلم في صحيحه في أبواب عدة منها: باب الحث على ذكر الله، حديث رقم (2675) [4/ 2061] ورواه غيرهما.

اللبن من غير أن يحلَّ فيه، أو يتحد به، وبعض أهل الظاهر حمل الصور على الصفة، وهذا مذهب المتأخرين المؤوِّلين، وهذا في الحقيقة إيمان بالعقل والتأويل.

والتفويض أسلم حتى يفتح الله تعالى إلا أن يكون في مقام دفع التجسيم، والأعمال بالنيَّات.

(أن تصلي) زيادة بعد زيادة؛ إذ الكمال يقبل الكمال.

(على سيدنا) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وآباؤه، وأمهاته ﷺ كلهم مطهَّرون عن رجس الشرك، فهم موحِّدون من أهل الجنة.

قال تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: 219].

وجزم الإمام الرازي بأنه لم يوجد في آبائه ﷺ شرك أصلاً، وقوَّاه الحافظ السيوطي وبسط الأدلة على ذلك خاصة وعامة خصوصاً في والديه ﷺ حتى ألَّف فيهما ثلاثة تآليف، ذكر فيها ما يتعيَّن مراجعته على كل محبٍّ للحبيب ﷺ ويعلم أنه يترَّحم على أبيه عبد الله وأمه آمنة، بل يترضَّى عنهما.

وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس بن ناصر الدين الدمشقي فيهما:

حَبا الله النبيَّ مَزيد فضلٍ ... على فضلٍ وكان به رؤوفا
فأحيا أمَه وكَذا أبَاهُ ... لإيمانٍ به فضلاً مَنيفا
فسلِّم فالقديم بذا قديرُ ... وإن كان الحديثُ به ضَعيفا

وما ألطف ما قاله الفاضل الأديب الخفاجي:

لوالدي طه مقامٌ عليٌّ ... في جنةِ الخلدِ ودارَ الثوابِ
وقطرةٌ من فضلاتٍ له ... في الجوفِ تُنْجِي مِنْ أليم العذابِ
فكيف أرحامٌ له قد غَدت ... أوعيةً تصلِّي بنار العقابِ

وقد رُوي عن أبي حنيفة كما ذكره العيني في شرح البخاري: إن

فضلاته ﷺ طاهرة، **(صلاة)** عظيمة، **(تكحل)** من باب منع ونصر، **(بها)**: أي ببركتها.

(بصيرتي) عين قلبي وهي قوة للقلب المنور بنور القدس، يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر، يرى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يُسمِّيها الحكماء العاقلة النظرية.

(بالنور) متعلق بتكحلها، **(المرشوش)** صفة له، وهو إشارة إلى قوله ﷺ:

«إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رشَّ عليهم من نوره فمَنْ أصابه من ذلك النور اهتدى ومَنْ أخطأه فقد ضلَّ وغوى»[1].

وفي الكلام استعارة بالكناية، حيث شبَّه هذا النور من حيث تنويره وتزيينه الباطن بالأثمد؛ لأنه ينوِّر العين ويزينها، وإثبات الكحل استعارة تخيليَّة، وهي قرينة المكنيَّة.

(في الأزل) متعلق بالمرشوش، فإن قلت: الخلق حادث، والرش أزلي.

فكيف قلت: معنى قوله ﷺ: **«خلق الخلق في ظلمة»**[1] قَدَّرَ الخلق.

والتقديرات: هي الأعيان الثابتة، ورش النور إنما كان على الأعيان الثابتة وهي أزليَّة أيضاً.

والشيخ قُدِّس سرُّه طلب بهذه الصلاة ظهور ما كان له في الأزل؛ لأن استعداده بحسب وراثته المحمَّدية، وختم ولايتها الخاصة أكمل الاستعدادات، وأوسعها.

(لأشهد) تعليل لتكحل، **(فناء)** اضمحلال وانعدام.

(ما لم يكن)، وهو ما سوى الله تعالى.

وتطلق **(ما)** على مَنْ يعقل كما هو مذهب بعض المحققين من أهل

(1) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في كلمة التقوى وصورة معناها..، [4/ 199].

العربية، فلا تغليب، وعلى المشهور فيه تغليب.

ومذهب السادة الصوفية أن كل ما سوى الله حيٌّ ناطقٌ عاقلٌ.

(وبقاء) دوام، **(ما لم يزل)** وهو الحق تعالى، وإطلاق **(ما)** سائغ.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: 5].

(وأرى): أي أعلم علماً ذوقيًا، أو أرى ببصري.

(الأشياء) المعقولة، والمحسوسة، والموهومة، والمظنونة ومن جملتها أنا، وتجوز بل تقع رؤية المعاني كما لا يخفى على الذائقين رؤية.

(كما هي): أي الأشياء كائنة **(في أصلها معدومة مفقودة)** فانية ذاهبة.

والمعنى الحاصل: أرى الأشياء التي هي حاضرة عندنا، ومترتبة عليها الأحكام كنفسها: أي إنها إلى الآن في حضرة العلم، ولم تزل معدومة، ولم تخرج من العلم، والظهور إنما هو لله بحسبها كما يشهده ذو العين.

(وكونها) عطف على الأشياء، **(لم تشم)**: أي الأشياء الحاضرة عندنا.

(لائحة الوجود): أي بنفسها، **(فضلاً عن كونها)**: أي الأشياء.

(موجودة)، فانتفاء الوجود أولوي كما هو شأن **(فضلاً)**.

وإنما قيَّدنا بالنفس لظهور أنها موجودة بالله، وهنا تقرير آخر طويناه لأهله والله تعالى الموفق.

قال المصنف:

[وأخرجني اللَّهُمَّ بالصلاة عليه من ظلمة أنانيتي إلى النور، ومن قبر جسمانيتي إلى جمع الحشر وفرق النشور، وأفضْ عليَّ من سماء توحيدك إياك من تطهِّرني به من رجس الشرك والإشراك، وأنعشني بالموتة الأولى والولادة الثانية، وأحيني بالحياة الباقية في هذه الدنيا الفانية].

قال الشارح:

(وأخرجني) عطف على ما تقدم بحسب المعنى، أو المعطوف عليه مقدَّر.

(اللَّهُمَّ) يا الله، **(بالصلاة)** المتقدمة الكائنة، **(عليه)** ﷺ.

(من ظلمة أنانيتي) الإضافة من قبيل لجين الماء، وهي الحقيقة التي يضاف إليها الشيء.

كقوله: نفسي، وروحي، وجسدي، وقلبي، ومالي، وداري، والكلام أدبي كمالي.

(إلى النور) الذي هو أنت فلا أرى شيئاً سواك، بل أراك قبل الأشياء.

كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: **«ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله»**.

وأخرجني يا الله أيضاً ببركة الصلاة عليه ﷺ.

(من قبر جسمانيتي) الإضافة كالأول، والأجسام قبور الأرواح لتعلقها بالأجسام تعلُّق التدبير والتصرُّف، لكن أرواح الكمَّل لها الإطلاق فتدبر هذا الجسم، وغيره بل كل الأجسام والأرواح لكن لا يكون هذا إلا بالخروج من قبر الجسماني.

(إلى جمع الحشر) الإضافة مِنْ قبيل إضافة الشيء إلى نفسه للتأكيد، وجوَّزها الكوفيون، أو من قبيل علم الفقه نظراً إلى أصل اللغة، والمراد بجمع الحشر شهود الحق بلا خلق.

(وإلى فرق النشور) نشر الموتى نشوراً من الباب الأول، ونشرهم الله فيتعدى مرة وأخرى لا، والإضافة كالأول، أو المعنى على التشبيه في كليهما، لكن العكس هو المشهود والأمر في هذا سهل.

والمراد بفرق النشور: شهود الخلق قائماً بالله تعالى، ويسمَّى الفرق بعد الجمع، كما يسمَّى جمع الجمع.

(وأفض): أي أسل عطف على أخرجني، **(عليَّ)** ياء المتكلم في محل جر بعلى.

(من سماء توحيدك وإياك) المراد بالسماء: العلوم والمعارف الإلهية المتعلقة بتوحيد الله تعالى نفسه بنفسه، ففي الكلام استعارة مصرَّحة، والإضافة قرينة، وذِكر الإضافة ترشيح **(ما تطهرني به)** الضمير عائد إلى ما.

(من رجس) بكسر الراء النجاسة.

(الشرك والإشراك) الإضافة من قبيل لجين الماء، والمراد بالشرك اعتقاد السوى، ومنه اعتقاد نفسه، ووجوده، وحاله.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]، والمراد بالإشراك: رؤية السوى، أو جعل الغير ذا شرك.

فشيخنا المؤلف قُدِّس سرُّه طلب الطهارة من السوى والطهارة من أن يرى له أحد وجوداً، أو حالاً، أو شيئاً من الأشياء، أو الأول نفسي والثاني آفاقي.

(وأنعشني) يقال: نعشه الله تعالى، وأنعشه إذا أقامه، والمعنى: أقمني من عثرة رؤية نفسي، ووجودي، وحالي، وكلِّي.

(بالموتة الأولى) الاختيارية التي هي قبل الموتة الطبعيَّة الطبيعية كما ورد في الحديث «**موتوا قبل أن تموتوا**»[1].

وقال ﷺ: «**مَنْ سرَّه أن ينظر إلى ميتٍ يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى أبي بكر**»[2].

الموت الاختياري هو الفناء في الله تعالى عن كل ما سواه.

(الولادة الثانية): أي الروحانيَّة.

وأمَّا الجسمانيَّة فهي متقدمة عكس الموت، والمراد بالولادة الثانية

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2669) [2/ 384].

(2) أورده أحمد المقري في نفح الطيب، شيء من مواعظ ابن الجوزي، 5/ 164].

إعراض الروح عن الجسم الترابي، ولوازمه، وتوابعه وعن النفس وما يتبعها، وعنها نفسها ومن فنائها، وحينئذٍ يحصل البقاء بالله، ولذا أخَّر قُدِّس سرُّه الولادة الثانية عن الموتة الأولى.

(وأحيني) من الإحياء، **(بالحياة الباقية)** هي العلم بالله تعالى كما قال [الشيخ الأكبر] قُدِّس سرُّه في **«فصوص الحِكَم»**.

وأمَّا الإحياء المعنوي بالعلم، فتلك الحياة الإلهيَّة الذاتيَّة العلميَّة النوريَّة التي قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 122]، فكل مَنْ أحيى نفساً ميتةً بحياة علمية في مسألة خاصة متعلقة بالعلم بالله فقد أحياه بها، وكانت له نوراً يمشي به في الناس بين أشكاله في الصورة انتهى.

ومعنى الآية: أو مَنْ كان ميتاً بالجهل بالله، فأحييناه بالعلم بنا، وجعلنا له علماً يمشي به أمثاله في الصورة لا في السِّيرة، فيدرك به ما في استعداداتهم، فيحييهم بتلك الحياة الإلهية العلمية النورية، وهم أيضاً يحيون النفوس الميتة، وهلمَّ جرًّا.

وحينئذٍ يحصل الإمداد الكلي، أو المراد بها اللطيفة الإلهية التي أشرنا إليها.

(في هذه الدنيا الفانية): أي التي لا وجود لها بنفسها، وإنما ظهورها بوجود الله تعالى فهي عَدَميَّة الأصل.

قال المصنف:

[واجعل لي نوراً أمشي به في الناس، وأرى به وجهك أينما توليت بدون اشتباه ولا التباسٍ، ناظراً بعينيْ الجمع والفرق، فاصلاً بحكم القطع بين الباطل والحق، دالاً بك عليك، وهادياً بإذنك إليك يا أرحم الراحمين].

قال الشارح: **(واجعل لي نوراً أمشي به)**: أي بذلك النور لا بنفسي.

(في الناس) لك أن تحمله على ما نقلناه وهو أوفق، ولك أن تريد به اللطيفة الإلهية مطلقاً.

(وأرى) عطف على أمشي به: أي بذلك النور لا بنفسي؛ إذ فنيت عن كلِّي وبعضي، وبقيت بك.

(وجهك): أي وجودك الذي هو أول ما تقع الرؤية كما قيل: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله.

(أينما تولَّيت): أي توجَّهت في الآفاق والأنفس.

قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 115] **(بدون)** متعلِّق بأرى: أي بغير، **(اشتباهٍ)**: أي عليَّ عند ظهورك في المحسوسات والموهومات، والمظنونات، والحضرات الخمس.

(ولا التباسٍ) عطفٌ تفسيري للتأكيد، أو هو عطفٌ تأسيسي باعتبار الخلق الجديد.

(ناظراً) على الوجه الأكمل.

(بعيني الجمع والفرق) اعلم أن الفرق ما نُسب إليك، والجمع ما سُلب عنك، ومعناه: أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة وظائف العبودية، وما يليق بأحوال البشرية، وما يكون من قبل الحق من إبداع معانٍ، وابتداء لطفٍ وإحسانٍ، فهو جمعٌ، ولا بد للعبد منهما، فإنَّ مَنْ لا تفرقة له لا عبوديَّة له، ومَنْ لا جمع له لا معرفة له.

فقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5]: إثبات للتفرقة بإثبات العبودية.

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]: طلب الجمع، فالتفرقة بداية الإرادة، والجمع نهايتها.

ومراد الشيخ قُدِّس سرُّه: رؤية الوحدة في عين الكثرة، والكثرة في

عين الوحدة، أو المراد بالجمع: شهود الحق مع شهود استهلاك الكثرة وعدمها، وبالفرق مقام العبودية وهو قريبٌ من الأول.

(فاصلاً) حال مترادفة أو متداخلة، **(بين الباطل)** وهو ما سوى الله تعالى، ألا كل شيءٍ ما سوى الله باطل، أو الحكم الغير المطابق للواقع.

(والحق) وهو الله تعالى، أو المراد به الحكم المطابق للواقع.

(دالاً بك) لا بنفسي، وهو إشارةٌ إلى قُرب النوافل.

(عليك) حتى يسيروا إليك وبعده فيك.

(وهادياً): أي مرشداً، ودالاً بلطفٍ؛ إذ الهداية هي الدلالة بلطفٍ.

(بإذنك) بأمرك وإرادتك، **(إليك)**: أي إلى معرفتك والفناء فيك، ثم البقاء بك.

(يا أرحم الراحمين) فعلاً دعاء خُتم بهما الصلوات المباركة الشريفة؛ ليكون الدعاء والختام مسكاً.

قال المصنف:

[صلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمَّدٍ صلاةً تتقبل بها دعائي، وتُحقِّق بها رجائي، وعلى آله آل الشهود والعرفان، وأصحابه أصحاب الذوق والوجدان، ما انتشرت طرة ليل الكيان، وأسفرت غرة جبين العيان، آمين، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين].

قال الشارح:

(صلِّ وسلم على سيدنا) وسيِّد ما سوى الله تعالى، **(محمد)** اسمه الشريف سُمِّي به؛ لكثرة خصاله المرضية، فهو محمود الله والخلق.

(صلاةً وسلاماً) في غاية العظم، **(تتقبل بهما)**: أي ببركتهما دعائي المار، أو كل دعاء لي ومنه المار، **(وتحقق بهما)**: أي ببركتهما **(رجائي)** ما أرجوه.

(وصلِّ وسلم بعده على آله) ﷺ كل مَنْ آل إليه: أي رجع بنسبٍ أو اتِّباع.

(آل الشهود): أي الذين يشهدون الحق بعيون قلوبهم، ولك تعميم الشهود باعتبار الظهور كما في ذي العين، **(والعرفان)**: أي المعرفة الإلهية، والعلم بالله تعالى.

(وأصحابه) جمع صاحب، وهو كل مَنْ لقي النبي ﷺ يقظةً، ومات على الإيمان إلى آخر الزمان، وللأولياء الكمَّل اجتماع به ﷺ يقظةً، وهم عند الله يعدُّون من الأصحاب خلافاً لأهل الرسم.

(أصحاب الذوق) هو نور عرفاني يقذفه الحق بتجلِّيه في قلوب أوليائه يفرِّقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتابٍ وغيره.

(والوجدان) لكل كمال، أو وجدان ظهور الحق تعالى في الآفاق والأنفس، أو المراد به: الإدراك الباطن الحقيقي، **(ما انتشرت)**: أي مدة انتشار: أي تفرُّق.

(طُرة) بضم الطاء الناصية، وقد يراد بها شعر الرأس.

(ليل الكيان) مصدر كان كالكون والكينونة.

والمراد: المكونات فهو مجاز علاقته التعلُّق، وإضافة ليل إلى الكيان من قبيل لجين الماء، فإن الأكوان في ذاتها معدومة، والعدم ظلمة، وإضافة طُرة إلى ليل أيضاً كذلك، ووجه الشَّبه شدة السواد، ففيه إشارة إلى أن الممكنات عدمها أصلي.

والانتشار كناية عن الظهور بالله، فإنها في حدِ ذاتها لا انتشارٍ لها، أو عن الذهاب والاضمحلال، وهي في حد ذاتها لم تزل كذلك، أو بالنظر إلى الخلق الجديد.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: 50].

(وأسفر): أي انكشف جبين العيان بكسر العين بمعنى: المعاينة: أي معاينة الحق الحقيقي ظاهراً وطالعاً في ظلمة الأكوان، وفي الكلام استعارة مكنيَّة، وتخيليَّة، وترشيح.

(آمين) استجب يا الله كل ما دعوناك به.

(وسلام): أي أمان كل ما في جميع المواطن والحضرات من كل ما يوجب الوقوف عن الحدِّ في السير فيك الذي لا نهاية له، وعن كل نقصٍ نسبي.

(على المرسلين) منك إلى عبادك ولو إليه لتنفيذ أمرك على حسب مرادك.

(والحمد): أي ما يطلق عليه الحمد سواء كان قوليًّا وهو حمد اللسان، وثناؤه على الحق بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه، أو فعليًّا وهو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاءاً لوجه الله، أو حاليًّا، وهو ما يكون بحسب القلب والروح كالاتِّصاف بالكمالات العلميَّة، والتخلُّق بالأخلاق الإلهية.

ففي العبارة عموم المجاز ثابت ثبوتاً استمراريًّا دائميًّا كما يشعر به العدول عن الفعليَّة إلى الاسميَّة، ومختص.

(لله رب) مالك أو مُصلح.

(العالمين) كل فرد من أفراد أجناس العالم، وهو اسم لما يعلم به الصانع، ولما مرَّ، وللتَّغليب جمع جمع السَّلامة.